من الأدب الساخر

بنت الإيه

يوسف معاطى

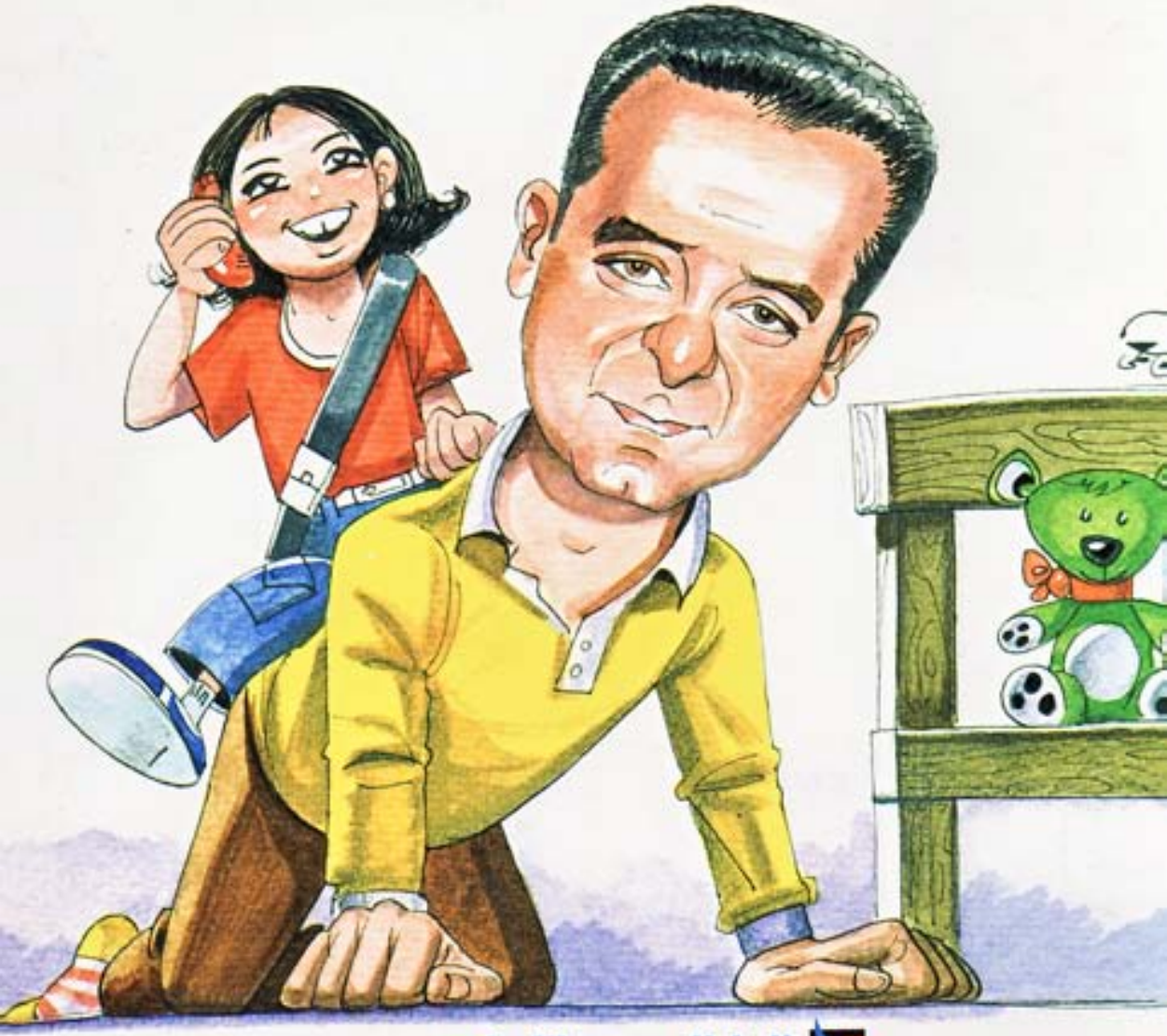

الدار المصرية اللبنانية

من الأدب الساخر

بنت الإيـــه

يوسف معاطى

الدار المصرية اللبنانية

بيانات الفهرسة أثناء النشر
(الإدارة المركزية لدار الكتب)
معاطى، يوسف
بنت الإية / يوسف معاطى
ـ ط 1 ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2007 .
152 ص ، 21 سم .
تدمك 977-427-100-9
1 ـ المرأة فى الأدب العربى.
أ ـ العنوان 810.9031

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت ـ تليفون: 23910250
فاكس: 23909618 ـ ص.ب 2022 ـ القاهرة
e-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com
تجهيزات فنية: الإسـراء ـ تليفون: 33143632
طبع: أمون ـ تليفون: 27944517 ـ 27944356
رقم الإيداع: 23466 / 2006
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: ذو الحجة 1427هـ ـ يناير 2007 م
الطبعة الثانية: رجب 1428هـ ـ أغسطس 2007 م .

fofoyoyo

Tofoyoyo

من الأدب الساخر

بنت الإيـــه

fofoyoyo

كنت عدواً للمرأة!!

من يجرؤ أن يقول إنه عدوها!! من يجسر أن يغالط قلبه وعقله ومشاعره ويدعى ذلك.. كل أعداء المرأة من قمم الفكر والأدب خدعونا.. تظاهروا بهذا العداء وحملوا اللقب المثير (عدو المرأة) بينما كانوا بداخلهم هائمين بها.. متيمين.

وأعجبت اللعبة المرأة نفسها.. أحبت هذا الاختراع الجديد فى المشاعر بعد أن شبعت من محبيها.. ديوان الغزل العربى هو أكبر ديوان فى مكتبتنا العربية.. قيس بن الملوح لا نعرف أى شىء عنه سوى "ليلى العامرية" إن حياته كلها حب وقصائد غارقة فى العشق.. عاش عمره كله يصف ليلى ويتوسل إلى ليلى ويمر على بيت ليلى.. حتى أن خادمتها (عفراء) صارت نجمة.. ذاب المسكين فى هذا الكيان الخرافى المهول.

وجميل بن معمر.. صار يعرف بحبيته.. وبرغم أنه ابن معمر، صار يطلق عليه.. جميل بثينه.. إنها تملكه.. برغم أنه الذى صنعها. وكثير

عزة.. هذا.. لا نعرف اسمه كثير إيه؟!.. هو فقط كثير عزة.. وكان من الممكن أن تكتمل السلسلة.. محمود عواطف.. وأحمد فتحية، ولكن.. أتوقف قليلاً عند مفارقة مهمة: أين قصائد النساء اللاتى كتبنها فى الرجل.. يتغزلن فى جماله.. ورقته.. وسحره؟! إنها قليلة.. قليلة جدًّا، فالمرأة تحب أن تسمع أكثر مما تتكلم.. وإذا أعطت فإن عطاءها صامت ليس له حس.. وبدأ الرجل يضيق بهذه المخلوقة الرائعة الناعمة التى خلق العالم من أجلها؛ القصائد لها.. والروايات عنها.. والأغانى تغنى لها.. وبدأ ينفعل.. ويثور فهو خلقه ضيق، وصرخ فيها نزار قولى.. انفعلى.. انفجرى.. لا تقفى مثل المسمار.. ولم تزعل المرأة.. بالعكس.. أعجبها هذا العاشق الجديد وبدأت تغيظه أكثر.. تنكشه.. حتى ينفعل أكثر.

وفى كتاب العقاد.. (هذه الشجرة).. صاروخ نووى موجه إلى المرأة، يصفها بالغباء وبالقبح، وبالنكد، وبأنها مخلوق حسى، جنسى لا يرقى إلى السمو الإنسانى، وفى كتابه (الإنسان الثانى) اعتبرها رقم اثنين فى كل شىء وأنها مجرد ظل.. وأنها كما وصفها: المخلوق المستطيع بغيره، وفى كتابه (جمع الأحياء). كتب عن القرد والثعلب والأسد، وباقى الحيوانات ثم إذا به يفاجئنا بفصل خاص عن المرأة، وأصبح العقاد هو عدو المرأة رقم (١) فى القرن العشرين، وللحق كان رائعًا فى هجومه على المرأة، بديعًا لدرجة جعلتنى صرت واحدًا من أتباعه،

حتى قبل أن أعرف أية امرأة فى حياتى، وقبل أن أمر بأية تجربة عاطفية، أصبحت عدوًا لها، بل إننى كنت أرفض رفضًا تامًا بأن أجلس بجوار أى بنت فى المدرسة الابتدائية المشتركة التى كنت فيها، وكانت تلك هى الطريقة التى يعاقبوننى بها فى الفصل حينما أتشاقى يقول المدرس وقد نفد صبره منى: وفاء، اقعدى جنب يوسف فى التختة. وهنا بأه هات يا عياط وهات يانهنهة، وأبتعد قدر المستطاع إلى حرف التخته كأن وفاء هذه ستغمد خنجرًا فى جنبى.. وجاء العقاد بمنطقه العبقرى ليؤكد لى أننى لا أقل عنه عداء للمرأة، كان عندى الفكرة وهو أعطائى المنهج، إلى أن قرأت له روايته الوحيدة، سارة قبل أن أقرأها سننت أسنانى، قلت لنفسى بس، ورينى يا أستاذ عملت فيها إيه، وأخذت أتخيل كيف جرجرها من شعرها وناولها بالبونية.. وعلقها من رجليها، بل ربما ربطها بسلسلة، لا يمكن أن يفعل أقل من ذلك، وألقيت بنفسى فى الرواية، ماذا حدث يا همام؟! (اسم بطل الرواية) ألست أنت هو؟! إنه يحبها بجنون.. يغير عليها بشدة، يتعذب يبكى، يسترسل فى وصفها بروعة، أين عداؤك الجبار يا أستاذ؟! بعد إذنك.. أنت صدمتنى.. هل بعت القضية؟! سأذهب إلى توفيق الحكيم.. فهو عدو المرأة هو الآخر.. ولكنه أيضًا ما هذا الذى يفعله؟! يتنازل عن القضية قبل الحكم بدقيقة.. ويسدد رصاصة فى قلب الرجل من مجرد نظرة!! والبطلة فى الرواية تضحى بالدكتور الذى تقدم للزواج منها والذى يبدو غنيًا مقتدرًا من أجل البطل الفقير

المديون.. حتى أنت يا حكيم!! وإحسان عبد القدوس هو أيضًا.. اعتبرها محورًا أساسيًا لأدبه وروايته.. إنه مشغول بها لدرجة فظيعة.. يحللها، يتوغل فيها، يشرحها، يلقى الضوء على كل ما خفى منها، وكأنها هى الكون كله، كأنها الفكرة الثابتة التى يدور حولها كل شىء.

آه يا أساتذتى المبدعون، ماذا فعلتم؟ هل تحبون المرأة بهذا الجنون ثم تدعون أنكم أعداء المرأة؟ لابد أن أعرف السبب، المسألة لابد وأن بها سرًا وأنا لن أنام ولن يهدأ لى بال حتى أعرف هذا السر الرهيب الذى يجعلكم تتراجعون هكذا، وأخيرًا، وجدته، قبضت عليه.. وضعت إصبعى على المكان الصحيح، إنها الأم.. أضعف نقطة فى قلب أى رجل.. وأقوى نقطة فى الوقت نفسه.. لا يوجد مبدع واحد أو قمة من قمم الفن والفكر والأدب، ليس عنده ذلك الغرام الاستثنائى بتلك المرأة الأسطورة.. الأم.

قالوا إن الواحد لا يعرف قيمة أمه إلا حينما ينجب.. وأنا لا أحب هذه المقولة فهى أول وأعظم قيمة نراها طوال عمرنا.. أنجبنا أم لم ننجب.. يقولون إن الطفل لا يرى شيئًا أول أربعين يومًا بعد ولادته.. وإنما.. يسمع.. يسمع فقط، ونحن كلنا سمعنا أمهاتنا.. هى أول صوت.. وأول مشهد.. وأول ضحكة.. وأول دموع.. والأذن تعشق قبل العين دائمًا وليس أحيانًا.

ومن يومها كلما انبهرت بقمة من القمم.. فنان.. سياسى.. أديب.. أغمض عينى ولا أتخيله وإنما أتخيل أمه.. تلك المرأة التى أنجبت لنا هذا العبقرى يا ترى ما شكلها؟ أحاول أن أرسم ملامحها.. هل هى تشبهه.. هل هو يشبهها؟؟ ماذا أخذ منها؟! وماذا أعطته؟! وكيف سيطرت عليه وشكلته حتى صار فذا هكذا؟

هؤلاء القمم فى كل المجالات ليس بينهم أى رابط.. كاتب.. مخترع.. مفكر.. فنان.. مخرج.. ممثل.. حزمة من الإبداع لا يربطها سوى شىء واحد فقط.. مجرد امرأة رائعة.. عاشت هى فى الظل ليتألقوا هم ويلمعوا ويصلوا إلى عنان السماء.. هذه المرأة.. هى الأم.

ولنبدأ بالأم إذًا.

الست دى أمى (١)

بيضاء.. مربربة.. عيناها عسليتان.. ولها فم جميل يحمل أروع ابتسامة فى الدنيا كلها.. أصابعها قصيرة.. وكفها صغير.. إذا قدمت لى تفاحة.. لعابى يسيل ليس على التفاحة.. وإنما.. على يدها الأطرى والأجمل من الموز المستورد ذات نفسه. هى قصيرة.. أقصر منى بكثير.. ولكننى أذكر إنها كانت أطول منى بكثير.. كنت أنا كالنملة.. وهى كانت كالجبل.. وكانت أول رياضة تعلمتها.. تسلق الجبال.. كنت كلما ارتفعت خطوة.. رأيتها أكثر ارتفاعًا مما أظن.. بخطوتين.. وأصبحت ألهث فى اللحاق بها.. وقبل أن أدرك الصلاة.. والصوم.. والعبادة.. كنت أعبدها.. حتى قبل أن أعرف أن الله شخصيًا وضع الجنة تحت قدميها.. كنت أحبو إليها وبلا وعى.. أقبلها.. على حجر أبى.. كانت أول مرة أعملها على روحى فى حياتى. قال فى غضب مشوب بالسعادة.. اخص.. الواد عملها.. شيليه.. امسكى.. ح توضا تانى عشان خاطر العفريت ده.. وأخذتنى من يدى أبى.. بعملتى..

ببلل. كأنها تتسلم جائزة الدولة التقديرية، وبكل الحب.. ضمتنى لصدرها.. وقبل أن تنمو أسنانى كانت هى أسنانى نفسها.. تقطع.. وتفتفت.. وتطحن.. وبإصبعها.. تضع اللقمة فى فمى الخالى، أتذوقها لبرهة.. والله حلوة.. وأبلع.. وأكبر.. وأسمن.. وأبلغ.. وأدرك وأفهم.. تتغير نظرتى لكل الأشياء.. تنقلب موازينى.. ومفاهيمى.. إلا نظرتى نحوها هى.. كأنها صورة ثابتة.. لوحة جميلة.. لا تتغير.. صرت ضعف طولها.. وصارت هى فى طول حفيدتها.. ولكنها.. تزداد حلاوة.. لا تزال كما هى.. بيضاء.. مربربة عيناها عسليتان ولها فم جميل يحمل أروع ابتسامة فى الدنيا كلها.. أنا لا أتحيز لها.. إنها امرأة جميلة ولذيذة وأنا أغازلها. بصرف النظر عن كونها أمى.. وما الأنوثة.. أليست هى الصدق والدفء.. والحنان؟ هكذا كنت أراها.. وأتأملها.. وأكتشفت بعد ذلك أن كل واحد فينا.. أمه.. بيضاء.. مربربة.. عيناها عسليتان.. ولها فم جميل يحمل أروع ابتسامة فى الدنيا كلها.

لماذا طلبتم منى أن أكتب عنها؟! لماذا تفتحون على أنفسكم فتوحة لا تنسد؟ الأفكار تتدافع وتتصارع داخل دماغى.. مارة بقلبى وشرايينى.. وأنا أريد لى وحدى عددًا خاصًا عن الأم.. سأكتبه من الجلده للجلدة.. لا أريد مساعدة من أحد، ومادته كلها موجودة.. لن أنقل حرفًا من كتاب.. ولن أعمل حديثًا مع أحد المشاهير، ستكون

هى نجمة الغلاف.. وكلمة العدد ستكون عنها.. وندوة الكواكب سأعملها معها.. حتى باب بينى وبينك.. سأجعله بينى وبينها.. وما أكثر ما بيننا.. من قفشات وحكايات.. وباب الكواكب من ٤٢ سنة.. سأضع فيه صورة زفافها.. وأطمئنوا العدد سيبيع.. بالتأكيد سينفد.. حتى لو اشتريت كل النسخ.. وأهديتها كلها لها.

حينما تزوجت أمى.. لم يكن عندها أجهزة.. لم تكن قد اخترعت الأجهزة، لا غسالة ولا بوتاجاز ولا تكييف، ويبدو أنها هى كانت كل هذه الأجهزة مجتمعة.. كانت تعرف أين تضع القلل فى اتجاه التيار.. حتى تبرد وترد الروح.. كانت تعرف أين تنشر الغسيل حتى يتحمص بحرارة الشمس.. صدقنى.. أنا لا أحكى عن أمى.. أنا أحكى عن أمك أنت.. كل أمهاتنا نسخة واحدة.. صورة عجيبة متكررة مذهلة من العطاء الذى بلا حدود. يأتى إلى بيتى الأصدقاء.. وكساحر يطلع لهم بإحدى معجزاته.. حينما تخرج أمى لتقدم لهم فضلة خيرهم.. أقدمها فى حركة استعراضية فخمة.. يا جماعة.. أهيه.. ماما.. هنا ينتهى دورى.. لتبدأ.. معجزتى.. حبيبتى.. فى الإغداق عليهم بكل أنواع الحنان والأمومة. إن أمومتها تسعنا جميعًا.. وأنا لازلت بجوارها النملة.. ولا زالت هى الجبل.. إنها لاتزال تخبطنى على يدى حينما أخطف حاجة من حد.. ولا زلت أنا برغم أننى شحط فى السادسة والثلاثين من عمرى.. ومتجوز وفاتح بيت.. أمرمغ

نفسى على صدرها.. كأعيل طفل يمكن أن تشاهده فى حياتك.. بل إننى أعيل منى أنا شخصيًا حينما كنت عيل.. قالها عبد الوهاب من قبل وقالها أيضًا إحسان عبد القدوس.. أنت لا تشعر أبدًا بكهولتك مادمت لك أم. إن لفظ "ماما" وحده يكفى ليصون لك شبابك وصباك.

fofovoo

الست دى أمى (٢)

المشهد الأول ـ البداية

هيصة عجيبة، وجوه أراها للمرة الأولى، الكل يضحك بلا سبب، بجوارى ترقد امرأة غاية فى التعب والهزال، علام يضحك هؤلاء؟ كل هذا الكم من الغرباء ما لهم يحدقون فىَّ هكذا؟ أبكى، انفجر فى البكاء، تحملنى المرأة الهزيلة المتعبة، ولكن ما هذا؟! أنا استريح جدًا لها.. إنها تربت على كتفى بحنان غريب، يسألها رجل من الغرباء هو الوحيد الذى أرغب فى وجوده بالحجرة.. يسألها.. نويتى على إيه يا سيدة، تجيب فى وهن وهى تنظر لى باسمة.. يوسف.

المشهد الثانى

مر أسبوع بالكامل.. المرأة استردت قليلاً من عافيتها.. وكل الغرباء انصرفوا إلاَّ الرجل هذا الذى استرحت إليه.. إنه يحبنى بلا شك.. ولكننى أريد المرأة هذه بشدة.. فهى التى تطعمنى حين أجوع وهى التى تغير لى ملابسى حينما ألوثها.. وأحيانا استقيظ بكل رزالة

فى منتصف الليل، فتقوم من أحلاها نومه. وتهرول نحوى.. ما هذا.. من كل هؤلاء؟ البيت أصبح كخلية النحل: أطفال كثيرون وكبار أيضًا.. يا ربى.. ماذا سيفعلون بى؟ لماذا يضعوننى فى هذه الصينية؟ هل سيأكلوننى؟ استر يا رب.. المرأة الطيبة التى أحبها تتجه نحوى ممسكة بيد الهون، وتدق فى الهون. وهى سعيدة، ما هذا الذى يتناثر على قفايا.. ملح!! وما هذا الغناء البشع؟! وكل هذه الحلوى لماذا تقدمها لأطفال غيرى؟ أضربها بيدى أرفسها بقدمى الصغير.. أنا غيور.. أنا مش باحبك.. أنا مش بحبكوا.. وأبدأ فى نوبة البكاء.

المشهد الثالث

أربع سنوات بالتمام والكمال.. أخيرًا نضجت، المرأة هى أمى.. والرجل هو أبى، ولم يكن هناك داعٍ لكل هذا الخوف والتوجس منهما، ولكن هناك حالة من الريبة فى هذا اليوم بالذات، إنها تدللنى أكثر من اللازم وهو أيضًا.. ما لها تلبسنى جلبابًا أبيض وطاقية بيضاء.. أنا لا أرتديها سوى يوم الجمعة، حينما أذهب مع أبى لأقلده فى الجامع وهو يصلى.. يأخذنى أبى من يدى، وأمى تودعنى بنظرة إشفاق والدموع فى عينيها، ولكنه طوال الطريق يبالغ فى تدليلى. إلى أن نذهب إلى مكان غريب يشبه المكان الذى ولدت فيه، ويجلسوننى عنوة على السرير ويكتفوننى.. ما هذا أنا لست مريضًا؟ ولكن.. آه.. آه.. ألم فظيع أصرخ صراخًا رهيبًا وأنهال بكلتا يدى على صدر أبى.. فى المساء

أجلس فى حزن ممزوج بسعادة غريبة غارقًا بين كم غير معهود من اللعب والحلوى وقبلات أمى.

المشهد الرابع

فى الطريق كنت ممسكًا بيدها.. ثم متشبثًا بذيل جلبابها.. أشعر بأن هناك نية غدر قالت لى بصوتها الساحر.. المدرسة حلوة عشان تتعلم وتبقى شاطر قلت لها باكيًا.. لأ.. مش عاوز أروح المدرسة خدينى معاكى، عند الباب تركتنى، ودفعتنى داخل مبنى ضخم له فناء فسيح وأنا أصرخ، وأتشبث بها وهى للمرة الأولى تبعدنى عنها والدموع تترقرق فى عينيها وأخذونى، وأنا أنظر إليها من بعيد.. وهى أيضًا، إلى أن اختفت عن ناظرى.. فاسودت الدنيا فى عينى.. وظللت أبكى طوال اليوم.. ما أبشع الفراق.

المشهد الخامس

قلت لها فى أسى.. لن أذهب إلى حفل المدرسة غدًا.. قميصى متهرىء.. وكلهم سيرتدون ملابس جديدة.. قالت فى حزن عميق.. ربنا يسهلها إن شاء الله.. كانت الظروف لا تسمح.. ومالى أنا والظروف فى هذه السن المبكرة؟ أنا أريد قميصًا.. فى الصباح الباكر أخذتنى من يدى وذهبت إلى محل صغير فى السوق وخلعت خاتمها الوحيد من إصبعها وأعطته لرجل أعطاها نقودًا، فأخذتنى إلى المحل

المجاور.. واشترت القميص.. وخرجنا من المحل.. وأنا ارتدى القميص الجديد، وقبل أن نصل المدرسة.. قلت لها فى صفاقة.. نفسى فى البليلة.

المشهد السادس - البداية الجديدة

تخرجت فى الجامعة وصار لى شارب، كان أبى الذى أصبح هو صديقى "الأنتيم" راقدًا على السرير فى اللحظات الأخيرة.. قالوا إنه فى غيبوبة ولم أصدقهم، لأنه فى عز غيبوبته كان ينادينى.. وذهبت إليه فأمسك بيده المرتعشة شاربى وأخذ يعبث به فى سعادة ثم قال.. خلى بالك من ماما.. وأسلم الروح.. أخذتها فى أحضانى أحاول أن أحتوى انهيارها، وشعرت يومها، أنها ليست أمى، إنها ابنتى.

دى نضافة زمان..

لم أكره شيئًا فى حياتى قدر ما كرهت الغسيل.. يوم الغسيل.. واللى بدع الغسيل.. صوت الغسالة يا أخى.. صوت بشع.. ويظل يدوى فى دماغى من صباحية ربنا برتابة وملل.. ولأن أمى من النوع الذى يتعامل مع البيت بمنهج التليفزيون، فهى تعتبر يوم الغسيل هو اليوم المفتوح.. فهو أيضًا يوم الطبيخ ويوم المسح والكنس، ويوم وضع المراتب فى الشمس، وقريبًا جدًا سيصبح يوم نقلى إلى مستشفى بهمان للأمراض العصبية.. ولكننى أتحمل الطبيخ والمسح والكنس وكل شىء.. إلاَّ الغسيل. ولذلك لا أستطيع أن أصف لحضراتكم سعادتى حينما فتح محل أمام بيتنا مباشرة لغسيل الهدوم وكيها ووضعها فى كيس وشماعة.. قلت لأمى.. أخيرًا "اللوندرى"!!! فى البداية هى اعتقدت أنه محل لتغيير العملة، وحينما أخبرتها.. إنهم يغسلون وينشرون ولا يتحاورون.. اعترضت جدًا على فكرة أن تذهب ملابسى إلى إنسان كائنًا ما كان ليغسلها، وأنا تصورت فى البداية أنها

ترى فى ذلك اعتداء على وظيفة أساسية من وظائفها كأم.. ولكننى علمت منها بعد ذلك، أنها تخشى أن أرسل لهم هدومى بعرقها فيعملون لى "عمل" لا ينفك.. وحاولت جاهدًا أن أفهمها أننى لا أرسل لهم حاجة من أطرى، وإنما أرسل لهم ملابسى، وكثيرون غيرى يفعلون الشىء نفسه.. فاشمأزت وقالت: وهل تقبل أن يختلط عرقك بعرق غيرك.. فهى كأمى طبعًا تتصور أن ابنها يعرق عسل نحل أو عصير فراولة، بينما أبناء الآخرين يعرقون هذا العرق المملح البشع.. وبدأت علاقتى بالمغسلة الميكانيكية منذ تلك اللحظة.. وارتحت من صوت الغسالة الاستفزازى وعلى رأى المثل الشهير.. هين قرشك ولا تخرم ودنك.

ولكن مع "اللوندرى" ليست الحياة جميلة طوال الوقت، كما كنت أتصور.. فقد حدث مثلاً ليلة رأس السنة الماضية أن أرسلت الجاكت الكحلى "الحتة الزفرة" بتاعى إلى المغسلة، وحينما ذهبت لأخذه بعد التنظيف.. أعطونى جاكت آخر.. لم أتبين أنه ليس الجاكت بتاعى إلاَّ حينما وصلت البيت.. هو كحلى.. ولكن ليس الكحلى الذى أفضله.. وعدت مسرعًا إلى اللوندرى.. كان قد أغلق أبوابه.. ورجعت البيت والجاكت معى.. الطقم كله قدامى لا ينفع سوى الجاكت الكحلى.. هل أرتديه؟! مابدهاش.. وذهبت إلى الحفل وأنا عندى إحساس أننى

fofoyoyo

لست أنا.. وكل رجل يرتدى جاكت كحلى فى الحفلة أفحصه بعناية كأننى غير مرئى.. وباظت الليلة..

طبعًا هذه الأشياء لم تكن تحدث إطلاقًا أيام غسالة أمى.. على أقصى الظروف كان أحد بنطلوناتى يطير من على الحبل.. أو أن جارتنا العزيزة.. تلقى بجردل ماء قذر على الغسيل.. مشاكل من هذا النوع.. لا أكثر.. وحدث ذات مرة حينما كنت أنتظر فى محل التنظيف الجاف أن رأيت سيدة تدخل وهى ترتدى ثوبًا ضيقًا، يلتف حول جسمها فى إحكام شديد وغريب، واتجهت كل الأنظار إليها وهى تشق طريقها نحو عاملة المحل وتقول فى غيظ: بماذا تغسلون؟ لقد عاد ثوبى من عندكم وقد انكمش انكماشًا شديدًا، حتى أننى أشعر كأننى عارية وأنا أرتديه.. هل يصح ذلك؟ فقالت العاملة وهى تنظر إلى الثوب الضيق الذى ترتديه السيدة: أنا آسفة جدًا يا سيدتى.

فأكدت على كلام السيدة قائلاً: إنت معاكى حق وما كانش لازم تلبسيه عشان يعرفوا غلطتهم، الفستان باين.. ولكن السيدة صاحت قائلة وهى تفتح حقيبتها وتخرج منها ثوبا آخر، شوف يا أستاذ الفستان بقى عامل إزاى ـ كانت تقصد فستانا آخر غير الذى ترتديه.

ثـم..
صرت متزوجًا..
وفـاتح بيـت

fofoyo

مخطوفة.. مخطوفة منك

نرجع مع بعض شويه كده يا جماعة، فى حدود كام ألف سنة، لتتراءى أمام أعيننا صورة جدى، وهو يجرى فوق الجبال وفى يده عصا ويصرخ فى الفضاء كالعبيط، ويضحك لأتفه الأسباب.. ويخبط الأرض بقدميه منفجرًا فى الضحك حتى يكاد قلبه أن يتوقف، حينما يرى الديناصور وهو يقضم ذراع جدتى.. والحقيقة إن جدى لم يكن له من هم سوى الأكل والشرب والقباحة.. فلا تفكير فى شهادة أو تعيين أو حتى جرنال يقراه.. وكيف يحدث هذا وهو يعيش فى العصر الحجرى الذى كانت فيه الجريدة وزنها لا يقل عن طن.. من غير الملحق.. الذى لو سقط فوق رأس جدى لأصبح فى الحال وجبة شهية لباقى أفراد القبيلة؟ ولم يكن جدى مهتمًا بالثقافة حيث إنه يا دوبك خلص سنة ثانية حجرى.. وطلع م الكهف ماكملش.. أما جدتى فكانت امرأة فاتنة صارخة الجمال فائرة الأنوثة، مثلها مثل زينة وأشد منها كمان.. وبعكس جدى كانت لجدتى ميول موسيقية مبكرة.. بل

وهى التقطت موهبة الصوت الجميل عند جدى، وكانت مغرمة بأن تسمعه وهو يتسلطن ويغنى.. آهاته الحراقة.. آه.. آه ولا يستطيع جدى أن ينكر أنها كانت تساعده بشد شعر صدره، أو وضع أصابعها فى أذنه. أو إشعال النار فى صوابع رجليه، ولكن قبل لقاء جدى البدائى بجدتى البدائية هذه.. كيف حصل التلاقى؟.

يقول العلماء إن الزواج مر بمراحل عديدة.. أولاها.. مرحلة الزواج بالخطف، فكان الإنسان البدائى يسرق المرأة التى يود أن تكون زوجته.. وكان الرجل حينما يقرر الزواج.. لا يكلف نفسه ويذهب لأهل العروسة ويترازل عليهم، وإنما فقط يصحو من النوم ويطلع طلعة الزواج، وهذه الطلعة.. يسير فيها جدى من صباحية ربنا فى الغابات بحثًا عن شريكة حياته، فإذا لقيها.. من شعرها ويروح مجرجرها ع الكهف. كده خلاص أصبحت حلاله.

وأتساءل فى الحقيقة: كيف يعيش مجتمع بكامله على أساس الخطف؟ يعنى البنت لما تكبر يطلقونها فى الغابات وأمها تدعو لها.. امتى يا ضنايا تتخطفى وأشوفك متشاله على كتف عريسك وبيجرى بيكى؟ وأخرى تقول فى أسى يا ميلة بختك يا بنتى تلات مرات تتخطفى وترجعيلى؟ أما جدتى يوم خطفها وهى على كتف جدى وهو يجرى بها على الجبل، كانت أمها تودعها بنظرة حنون وهى تقول ربنا يحميهم لسه مخطوفين، وجدتى تغنى وهى على ظهره.. مخطوفة

منك.. مش قادره مش قادره أقولك. وبعد فترة "الخطوفة" يقوم جدى بإخفاء عروسه شهرًا كاملاً فى أحد الكهوف، حتى يمل ذووها وأقرباؤها من البحث عنها.. وهى التى حورناها فى العصر الحديث بما يسمى بشهر العسل.. وفى هذه الأيام البعيدة.. هما شهرين وتلاقى جدتى حامل. ربما لأن الطبيعة كانت بخيرها.. لا تلوث ولا شكمانات عربيات.. وكانت جدتى تضع المولود فى الكهف بمنتهى البساطة.. لا سونار ولا مستشفيات ولادة وأجهزة شفط.. ولا حتى طبيب يولدها.. إذ أن جدى كان لا يتأخر عن القيام بهذه المهمة أيضًا، ولهذا ماتت نساء كثيرات فى هذه الأيام، ربما لأن أسلوب جدى فى الخطف كان يتبعه فى الولاده أيضًا، فكان يخطف منها العيل ويجرى ويضحى بالأم.. كان الأبناء فى تلك العصور السحيقة ـ لو عاشوا يعنى ـ يعتبرون أبناء الجماعة بأسرها من غير تحديد لأب، أو ارتباط بنسب.. شفتوا المصيبة.. يعنى جدى اللى عمال أكلمكم عليه ده.. طلع مش جدى.. أنا عارف.. أنا من أول المقال مش مستريح له.. أنا لا أقبل أن أكون ابن الجماعة مهما حدث.

وأفقت من شرودى على صوت صديقى فى التليفون يعتذر عن المجىء عشان الجماعة تعبانين شويه، قلت له منزعجًا جماعة مين؟ قال فى سماجة: جماعتنا يا سيدى وفهمت أنه يقصد زوجته.. يا للسخافة أكثر شىء يضايقنى فى حياتى لما واحد يقول على مراته الجماعة.. كيف

وهى مفرد مؤنث ويفرسنى أكثر الزوجة التى تنادى على زوجها بدلع سخيف.. بابى.. الحكاية مش ناقصة لخبطة.

ولنترك الزواج بالخطف وننتقل إلى تطور آخر لمراحل الزواج. مرحلة الزواج بالشراء.. وهنا بأه الرجل يشترى أى واحدة تعجبه ولو مامعهوش يدفع عربونها، والباقى ورق وقد بدأ الزواج بالشراء المصريون القدماء، ونقرأ فى بعض البرديات فى عقود الزواج المصرية أن الزوج يدفع فى زوجته أربع تيران وتلاتين فرخه وست ديوك.. وعدد كذا من الثياب وكذا من المصوغات.. ولا تزال هذه العادة موجودة إلى الآن فى الأفراح الشعبية، حينما يضعون الجهاز والمرايات والمراتب على عربة كارو.. ويظلون يصفقون ويغنون ويفضحون العريس فضيحة المظّاهر.. ولكن يحسب للمصريين القدماء أنهم لم يكونوا يغالون فى أسعارهن فهناك بردية بها عقد نص فيه على أن ثمن العروس ثوب من الكتان الأبيض.. يا بلاش.. أهى دى اللى عاوزه تعيش.. قلت هذا ذات يوم لفتاة حتى لا تدخل على طمع.. فأجابت بأننى لو نظرت لأى مقبرة فرعونية لوجدتها ممتلئة بالحلى الذهبية والنفائس الثمينة التى وضعها زوج المتوفية لها فى قبرها.. فقلت لها يديكى طولة العمر وشوفى أنا ح اعمل لك إيه فى تربتك.. مش ح اخليكى ناقصك حاجة.

ولاشك أن علاقة الزواج بالفلوس علاقة قديمة وتاريخية. بل إن هناك حكاية هولندية قديمة عن طحان فقير تقدم للزواج من فتاة جميلة واعترض والدها لأن صاحبنا ع الحديدة طبعا.. ورفض الزيجة.. وكانت البلدة كلها تحب الطحان لأنه اعتاد أن يعطى الفقراء طحينًا وخبزًا.. فاجتمعوا وقرروا أن يسهم كل واحد منهم بهدية ما.. وأقبلوا على منزل الفتاة حاملين هداياهم.. اللى جاب المطبخ.. واللى جاب النجف.. والفرش والبياضات.. وطلع أبو العروسة ليجد كل هذا.. فلم يستطع الاستمرار على موقفه وقال للعريس.. شيل.. مش الهدايا فسده العروسة طبعا.

وأنا رويت لكم هذه الحدوته الساذجة فى الحقيقة على أمل أن تعتبرونى الطحان والعنوان انتوا عارفينه.. دار الهلال ـ الكواكب.. والزواج بالشراء برغم أنه أقل عنفا وشراسة من الزواج بالخطف فإنه فى رأيى أخطر بكثير.. فإذا نط حرامى على شقتك وسرق مراتك لن تصبح جناية خطف واغتصاب، وإنما ح تبقى جنحة سرقة وسيقول لوكيل النيابة إنه كان مزنوق فى مبلغ، وسرق الست عشان يبيعها مش أكثر.. وأصل المشكلة أنه كان اشترى مراته من حوالى خمس سنين، ولما جه يبيعها كانت نزلت فى السعر جامد فى السوق.. كان فيه ستات جديدة نزلت فالموديل بتاع مراته انضرب.. وعليه أنا ضد الزواج بالشراء، كما أننى ضد الزواج بالخطف. هنا ابتسم فى مرارة صديقى

العازب الوحدانى.. وقال فى يأس.. أنا يا سيدى لا أستطيع أن أخطف واحدة ولا أملك ما يشتريها. أنا عاوز أحب واتحب. عاوز ألاقى الإنسانة..... عذرًا لن أكمل كلام صديقى، فقد ضاع صوته من أذنى وظل يتكلم بحرارة ويبربش بعينيه، كأنه يحيى شاهين القس حينما أحب سلامة. وظللت أراقب حركة شفتيه.. وتعبيرات وجهه كأنى قافل الصوت.. وأنهى صديقى حديثه السينمائى.. بسؤال الحب مش كفاية عشان نبنى حياة؟! قلت له ده عند أم أنص. فسألنى باستغراب مين.. قلت له أم أنص. هذا تعبير جديد يعنى فى المشمش.. الواقع اختلف يا صديقى كل بنت تريد الزواج وتريد الراحة ولا تحب الشقاء.. وجدتنا إياها حينما استعبطت وتركت جدنا الأكبر يخطفها لم يكن أمامها فرصة خطف أفضل.. ولا تتصور أن حفيدتها اليوم أقل ذكاء من جدتى.. التى رضخت واستسلمت للأمر الواقع، وقعدت فى الكهف بجوار الراجل اللى جرجرها من شعرها.. وإذا كانت جدتنا الفرعونية قد رضيت بثوب من الكتان الأبيض وعاشت مع جدنا الفرعونى، الذى كان يطلع من صباحية ربنا مع آلاف العمال ليحملوا الأحجار التى تبنى الأهرامات والمعابد، ويعود ليجدها تزرع وتحصد وأجدع من أى راجل.. فأنت إذا عدت اليوم لن تجدها.. لأنها غالبًا إما عند الكوافير أو فى النادى أو عند مامتها بينتفوا ريش حضرتك.

الحكاية يا صديقى ليست حكاية حب.. الحكاية أعمق بكثير

وأخطر بكثير.. المرأة هى الدافع.. هى المحرك لكل إنجازات وإبداعات جدنا العبيط إياه.. فلولاها ما صنع مجدًا ولا بنى بيتًا ولا كتب شعرًا.. ولذا من عند المرأة تبدأ الحكاية.. وأنا أحدد نجاح الرجل حينما أنظر إلى امرأته.. تريد أن تدرك ما أقصده.. تأمل فتاة اليوم..

بص بقى حضرتك معايا، شفت الجزمة البناتى اللى طالعة جديد قد إيه؟! أنا بس بحذرك. قد كرسى الحمام.. وهيه بقى مش لابساها. دى واقفه عليها، يا بنى شايف سعادتك الجرأة التى تتكلم بها. ح تخرم عينك بصباعها. هل تعلم لماذا اختفت جرائم الخطف والاغتصاب؟ ليس لدواعٍ أخلاقية.. صدقنى الرجاله مرعوبين. مش من العقاب.. من البنات يا صاحبى.. انتهى عصر الزواج بالخطف الذى بدأه جدى من آلاف السنين، وأخشى ما أخشاه أن نكون مقبلين مرة ثانية على أيام الزواج بالشراء.. واللى مامعهوش.. مايلزموش.. كنت أقول هذا لصديقى وأنا أتحسس بيدى جيوبى الفارغة، لأكتشف أننى لا أملك سوى قروش قليلة لا تشترى بالكاد إلا ثوبًا من الكتان الأبيض..

يحلها حلال

ولا تزال إحدى عادات الزواج الغريبة فى القبائل الأفريقية تشغل ذهنى ولا تنيمنى الليل، فقد قرأت مثلاً أنهم فى ليلة عقد القران وقبل الدخلة.. يقيدون العريس فى الفرح بسلاسل حديدية، ويتلم حوله أبوها وأخوها وعمها ورجالة عيلتها وينهالون عليه ضربًا فإذا قال آه.. أو قال بم، يفرقون بينهما وكل واحد يروح لحاله.. إنهم يريدون أن يقيسوا مدى احتمال الزوج المنتظر للحياة القاسية التى سيعيشها مع عروسه.

وقديمًا فى الصعيد كان أبو العروسة يجلس أمام الفحم والنار ويأتى إليه العريس ليطلبها منه.. فيتعمد أبو العروسة أن يسقط الفحم من الجوزة التى يشرب منها فيقع على الأرض، وهنا لابد أن يلتقط العريس قطعة الفحم الموجوج من على الأرض بيديه، ويضعها على الجوزة لأبو العروسة.. وإذا كان الأب "رزل" شوية يتركه والنار فى يديه ويرسل فى تغيير الجوزة.. هنا لا يجب على العريس أن يلقيها فى

الأرض، وإنما يظل قابضًا على الجمر بيديه والأب يكلمه فى غتاته سائلاً إياه.. وهل جهزت بيتًا وفرشًا ونحاسًا.. والعريس يجيب عليه وهو يتقطع حيث إن يديه ستسيح، ولكن لو وقعت منه قطعة النار لطارت منه العروسة على الفور، فهو فى عرف الصعايدة أيامها رجل فافى.. مش عارف يمسك حتة نار بإيديه، وبرغم غلاسة هذه العادات القديمة فإنها لا تخلو من المعنى.. فهم يريدون أن يثبتوا أن الرجولة تحمل وصبر.. وهاتان القيمتان تعتبران من أهم القيم الإنسانية التى نمارسها فى هذا الشهر الكريم.. فى شهر رمضان التحمل والصبر.. ولا نستطيع أن ننكر أن الجوع والعطش فى حياة الصحراء الخشنة والشمس الحارقة والجفاف الرهيب، كانا من أهم اختبارات التحمل والصبر، أما فى أيامنا هذه فلم تعد المسألة جوعًا وعطشًا.. وإنما الاختبار الفعلى للجَلَدْ والصبر حقًا يبدأ بعد انطلاق مدفع الإفطار حيث يصاب التليفزيون بحالة هيستيرية.. برامج ومسلسلات وأفلام وإعلانات.. إلى أن يضرب مدفع الإمساك.. هنا يلتقط الصائم نفسه ويفرح فرحة المقبل على الإفطار وانقلبت الآية فصار الإفطار مشكلة والصيام هو اللى سهل.

وصارت الوجبة التليفزيونية التى يقدمها التليفزيون أشبه بالوجبة الفاطمية التى كانوا يقدمونها للناس فى أيام رمضان، وكانت تسمى بالسماط، حيث كان الخليفة الفاطمى يجلس فى الديوان الكبير وأمامه

موائد عامرة عليها أطباق يبلغ طول الطبق منها قامة الرجل.. يعنى واحد فى طول كده يمدد فى الطبق ويقيل له شوية، وفى هذه الأطباق العملاقة أطعمة فائحة الرائحة.. وهبر من اللى قلبك يحبها، أما الخبز فكان يصف على حواف الموائد كل رغيف يزن ثلاثة أرطال.. يعنى الناس أيامها كانت بتاكل عيش صحيح.. مش زى الأيام دى.

ولا أنسى ليلة رمضان ونحن ننتظر رؤية الهلال حيث ثبتت غرة شهر رمضان فى اليوم التالى، وارتسمت على وجه أمى ابتسامة واسعة لم أر مثلها فى حياتى.. وقالت لى.. اسمع عاوزين ننزل بقه نجيب حاجة رمضان.. قلت لها هوّ رمضان لمح لك بحاجة.. قالت لى ما تهزرش لازم نملا البيت من خيرات ربنا ده شهر كريم.. وأمسكت ورقة وقلمًا وأخذت تملي علىَّ حاجات رمضان، لم تترك صنفًا لم تذكره وأخذت أعدد فى النهاية ما كتبت فوجدت أن هذه السيدة الطيبة تستطيع بسهولة لو أتيحت لها الفرصة، أن تقضى على المجاعة فى الصومال.. وتستطيع بسهولة أيضًا أن تقضى على تحويشة عمرى.. وجاء رمضان وفعل التليفزيون مثلما فعلت أمى بالضبط، خمسميت صنف ولا أعرف ماذا آكل؟ فالبوفيه مفتوح ع البحرى.. ودخلت القنوات الفضائية أيضًا وعملت موائد الرحمن هيه كمان، ويبقى الأكل مرطرط وللركب.. شفت كمية فوازير تجعلنى أفكر فى أن أكتب فزورة بجائزة ضخمة تقول الفزورة.. اذكر ما عدد الفوازير التى

تعرض على شاشة التليفزيون وفى الإذاعة؟! ولى صديق استقال من عمله ويعمل حاليًا حلال فوازير.. ولا تستهينوا به أو تسخروا منه فهذا الحلَّال لو ضربت معاه محدش ح يعرف يكلمه، سيصبح مليونيرًا ولا حلاَّل الفاسى.. وهو حاليًا فى حالة طوارىء رهيبة.. قافل عليه الأوضة وقدامه التليفزيون وجنبه الراديو وقاعد.. بيقلب فى القنوات وفى المحطات وقدامه ورقة وقلم ودوسيهات.. وعامل دوسيه لكل فزورة.. وتدخل عليه أمه بكباية الشاى لتضعها بجانبه وتقول له: ربنا يوفقك يا حلَّال يا بنى.. فيجيب عليها فى عصبية.. ششت.. ضيعتى فزورة الشرق الأوسط.. وأم حلال هذه مؤمنة جدًا بما يفعله ابنها، وكل أولادها حلَّالين، ولذلك فهى دائمًا ما تربى ابنها الأصغر على حل الفوازير، ولأنه لم يتجاوز السادسة من عمره بعد وليس مؤهلاً بما يكفى، فقد ألحقته بالناشئين ليتدرب على الحكاية منذ نعومة أظافره ولذا تجده جالسًا بشكل دائم أمام برنامج "بدون كلام"، كنوع من التسخين والإعداد، وحتى تنمى بداخله النباهة الفوازيرية مثل إخوته الحلالين.. وبعد نهاية الشهر الكريم وإعلان نتائج الفوازير مسحت أم حلاَّل دمعة نزلت من عينيها وقالت بتأثر.. الواد حلاَّل سقط فى فوازير القناة الثانية.. مع إنه حالل كويس.. قلت لها معلش يعوضها فى رمضان اللى جاى.. بس يركز.

الجواز حيغلا

لاشك أن الكذب قديم لأن الإنسان قديم.. والكذب ولد من رحم الصدق، فالتصديق لابد منه لجريان الحياة.. فإذا سرت فى طريق واعترضتك لافتة مكتوب عليها ممنوع المرور لابد أن تصدق، وإذا قالوا لك إن الأرض كروية لابد أن تصدق.. وإذا طلبتنى فى التليفون وقالوا لك مش موجود يجب أن تصدق.. ولكن هل يصبح للحياة طعم إذا سارت هكذا صادقة.. كل ما فيها حقيقى وليس بها كذبة واحدة؟ أنا أكتب فى نهاية خطابى إلى أى حد عبارة "وتفضلوا بقبول فائق الاحترام"، وأنا لا أحترمه ولا أعرفه أساسًا.. وأبدأ خطابى بكلمة "عزيزى فلان"... وهو لا يعز علىا على الإطلاق.. ولكن تخيل أن أبدأ خطابى بكلمة أنت ياللى ما أعرفكش.. وأنهيته بكلمة أنا لا أحترمك لأنى لم أعرفك بعد.. ستصبح مشكلة.. والحياة لا يمكن أن تكون كلها جد.. الجد يقتل النفس والهزل يعيد إليها الحياة، ولذا اخترع البنى آدم عيدًا للكذب عمره نصف يوم يبدأ من نصف ليلة

أول إبريل إلى منتصف نهاره.. يجوز للناس فيها استغفال بعضهم بعضًا.. دون عتاب.. تتلقى هدية من صديق تفتحها.. تنفجر فى وشك.. وهدية من صديق آخر لا تفتح أساسًا. يتصل بى فجأة وهو فى قمة الانفعال.. ويهتف بى.. يوسف.. الحقنى أنا مستنيك فى آخر شارع الهرم أرجوك تيجى أنا فى ورطة كبيرة.. أجرى بالسيارة وأذهب فلا أجد أحدًا.. أو أجد شخصًا آخر تعرض للمقلب نفسه.. وقد نشرت جريدة أمريكية إنه فى حديقة كذا فى الساعة العاشرة صباحًا سيفتح معرض به خمسة آلاف حمار فى مهرجان الحمير الدولى الأول، وذهب الذين صدقوا الخبر إلى الحديقة ورأوا آلاف الحمير.. أعنى الذين صدقوا الخبر!!.. وحدث أنه فى أول إبريل بعث أحدهم مع مساعده بخطاب إلى صديق فى آخر الدنيا مكتوب فيه.. النهاردة أول إبريل.. والمساعد بتاعى مغفل وقارفنى طول السنة.. وكان نفسى أعمل فيه أى حاجة فأرسلته إليك حتى أقطع نفسه.. فوضع الصديق الخطاب أمامه ونظر إلى المساعد الذى يتصبب عرقًا وقال له: يبدو أن صديقى أخطأ.. الجواب ده مش ليا.. الجواب ده لازم يكون النهاردة عند مستر جون فى آخر واشنطن تخطف رجلك لحد هناك.. وتجيبنى تانى.

ومساعد مسكين آخر أرسله المدير إلى مكتبه فى آخر الدنيا ليبحث عن كتاب اسمه لبن اليهام؟!، وبعد ساعات من البحث والتنقيب نظر له صاحب المكتبة بضيق وقال له.. هو اليهام عنده لبن؟!.

ولكن لماذا فى إبريل بالذات؟! .. يقال إن النبى نوح عليه السلام بعد أن صنع سفينته أرسل حمامة للبحث عن مكان أمين يمكن أن ترسو فيه السفينة، فلما عادت الحمامة وأنبأته بأن الطوفان وراءها سخرت منها بقية الحيوانات والطيور التى كانت بالسفينة.. واتهمتها بأنها كذبة إبريل. ولم يعد الكذب الآن هو أن تقول ما لم يحدث أو تخالف الحقيقة.. وإنما صار بعض الناس يتنفس كذبًا.. يعرق كذبًا.. رأيتها جالسة معه.. جميلة بلا شك وحينما سألنى عن رأيى فيها.. قلت له.. مش عارف حاسس إنها كدابة.. اعترض.. وسألنى كدبت فى إيه.. قلت له لم تكذب فى شىء.. ولكن ردود أفعالها كذابة.. عينها كذابة..حركة إيديها كذابة.. شعرها كذاب مش قادر أصدقها.. وأسوأ شىء حينما تحاول إحداهن أن تبدو صادقة.. طبيعية.. يا باى.. يا ساتر.. البراءة مفتعلة.. والبصة معمولة.. كل شىء مصنوع.. ولكنها على أى حال تجد فى النهاية من يصدقها.. ربما لأنه أكذب منها.

وأحدث كذبة إبريلية سمعتها.. ولا أعلم إن كانت كذبة أم حقيقة.. شائعة كبيرة منتشرة أن الزواج اعتبارًا من الشهر القادم ح يغلا.. يعنى إيه.. قال لى العامل البسيط فى إحباط ومرارة ح يدفعّوا الراجل ثلاثة آلاف جنيه تأمين، هوه الشباب عارف يتجوز يا بيه لما يدفع تأمين.. وعشان كده كله بيتجوز دلوقت قبل ما القانون ينزل..

أنا كنت متكلم على بنت خالتى.. كلام.. أما سمعت.. جريت وكتبت كتابى أول إمبارح وأختى ح تكتب بكره بالليل.. مع إنها لسة ما جهزتش.. إنما خطيبها قال نكتب دلوقتى ونوفر الثلاثة آلاف جنيه إحنا أولى بيهم.. وفى دمياط بقى يا باشا.. الجواز بالطوابير كله عاوز يلحق نفسه، ولعلمك المآذين بيشتغلوا برضه ما هو ده موسم بالنسبة لهم، وفى كفر الزيات البلد كلها سهرانة بتتجوز.. اللى شابك خلص الموضوع بدرى بدرى.. واللى قارى فاتحة قوام قوام جاب المأذون، قلت له يا سيدى ما يمكن تكون كذبة إبريل؟ قال لى وأنا أعرف منين.. تقولى كذبة إبريل والبسها أنا فى مايو؟!! وخرجت من عنده وأنا أضرب كفا بكف.. يقولوا السكر ح يغلا.. أمى تحول فى سكر وتشيل.. يقولوا اللحمة ح تغلا.. الكل يخزن لحمة.. ولكن الجواز ح يغلا!! ح تخزن إيه بس؟! مفيش غير إن الواحد يشد حيله كده ويتجوز أربعة فى الرخص ويخليهم ح ينفعوا.. مفيش حاجة بتخسّر..

ولكن كيف صدق الناس الكذبة.. إذا كانت كذبة؟ إلاّ إذا كان هناك نوع من عدم الثقة بينهم وبين المسئولين وإحساسهم العبثى الغريب بأن أى شىء يمكن أن يحدث.. فعلها الحاكم بأمر الله فى أيام الدولة الفاطمية، أصدر أمره بمنع أكل الملوخية.. وصارت الملوخية

مثل المخدرات التى يعاقب عليها القانون، وضبط العسس (العساكر يعنى أيامها) عائلة تجلس أمام حلة ملوخية بالتقلية ونازلين لهط.. والحمد لله أنها كانت ملوخية خضرا.. فالناشفة كانت عقوبتها أشد بكثير.

تردد عالى

أخيرًا وضعت يدى على المشكلة.. حقًا إن مشكلتنا الأساسية أن كل شىء فى هذه الحياة يحتاج منا إلى قرار، ولأن الحياة قصيرة فالقرارات يجب أن تكون سريعة.

ولقد استيقظت هذا الصباح فجأة "دون أن أقرر ذلك".. وجلست فى الفراش ساعة كاملة لكى أقرر.. أقوم فعلاً ولا أخلّينى تحت اللحاف شوية؟!.

ولم يدفعنى لاتخاذ هذا القرار سوى دخول وخروج زوجتنا عدة مرات وهى تهتف بنا فى عصبية.. ما تقوم بأه عاوزين نهوى الأوضة!!.

"مما جعلنى أوقن أن زواج زوجة نشيطة من زوج كسول من شأنه أنه يعمق الخلافات بينهما".

وقفت أمام المرآة وتأملت ذقنى.. فعلا لقد استطالت بعض

الشيء، ومن الأفضل أن أحلقها الآن.. إنما متهيألى ممكن أروح الشغل بيها كدة شكلها مش وحش قوى.. ولكن من يدرى!! ربما يمر المدير ويرانى هكذا ويستفنى أمام الزملاء.. نحلقها وخلاص.. إنما مش جايز ما يمرش وأبأه حلقتها على الفاضى!! نخليها.. ويخترق أذنى صوت المدام.. بقالك ساعة بتبحلق فى المراية.. ح تحلقها ولا مش هتحلقها؟! استفزنى السؤال وقلت لها بحزم.. كده.. طيب ودينى ما أنا حالقها.. وخرجت من الحمام ثم توقفت قليلاً وسألتها.. ولا أحلقها!!.

فتحت الدولاب.. ألبس إيه.. الجاكيتة البنى ولا الكحلى؟! البنى روحت بيها ميت مرة.. حفظوها حتى مسمينى فى الشغل الراجل البنى.. خلاص ألبس الكحلى.. إنما دى لسة جديدة!! حرام أبهدلها فى الشغل وأظل هكذا فاتحًا الدولاب وأنا مستغرق فى إشكالية معقدة البنى أم الكحلى؟!.

وأخيرًا أستقر على الكحلى بعد أن صاحت زوجتنا من الداخل.. البس الكحلى وإخلص بأه فى يومك.. عند الباب قلت لها.. متهيألى الجو بارد آخد الكوفية عليا؟ قالت فى غيظ.. خدها.. أخذت الكوفية ثم.. توقفت وقلت لها.. بس الشمس شكلها حلو النهاردة والجو باين ح يطلع دفا قالت فى عصبية.. سيبها.. واتكل على الله بأه.. قلت لها

ولا أقولك آخدها أحسن تمطر والجو يقلب ياختى.. هنا صرخت - لا أعلم لماذا؟ - وقالت.. خلاص خدها.. قلت لها آه أخدها وسحبت الكوفية ثم تركتها عند الباب فى أخر لحظة، وقلت لها مش إشكال أنا لابس تقيل من جوه ما يهمنيش.. هنا زغرت لى زغرة جعلتنى أمضى خارجًا بسرعة.. ثم عدت وفتحت الباب.. وسحبت الكوفية قائلاً.. آخذها على دراعى مش ح تخسر.. فى الطريق كانت تملؤنى أسئلة من نوعية.. آخد العربية ولا أركب تاكسى؟! أروح الشغل ولا أخده النهاردة أجازة عارضة؟!.

ولقد عرضت عليكم هذا المشهد لكى تعرفوا حقًا كم المعاناة التى يعانيها المرء، لمجرد أن يتخذ قرارًا بسيطًا فى مسألة غاية فى التفاهة.. تحدث كل يوم لكل منا.

ولقد كلمتنى زوجتى وأنا فى الشغل تسألنى ذلك السؤال القاتل.. تاكل إيه النهاردة ع الغدا؟.. ثم أردفت بملحوظة لها قيمتها وهى.. حدد هتاكل إيه دلوقت علطول.. قلت لها بلاش لحمة خلينا فى السمك قالت طيب.. ووضعت السماعة.. بعد خمس دقائق طلبتها.. بقول إيه إحنا مش واكلين سمك أول إمبارح.. خلينا فى اللحمة وخلاص.. ولم ترد قفلت السماعة فى وجهى.. ثم بعد ذلك أتانى صوتها عبر الهاتف بالتردد زوجتى!! عاوزة إيه.. مش حسمنا موضوع

اللمحة.. قالت عاوزها مسلوقة ولا محمرة؟! قلت لها مش عارف.. إيه رأيك ناكل فراخ؟ لا أعلم لماذا تثور زوجاتنا لمجرد مناقشة بسيطة كهذه.. خلاص ياستى يبقى حناكل بره.. ماتزعليش نفسك ح أعدى عليكى آخدك وناكل فى أى حتة باى باى.. بعد دقيقتين طلبتها وقلت لها بقول إيه.. ما تعدى عليا إنتى.. ولا اسمعى.. تيجى نتقابل فى المطعم علطول!!..

إننا نلوم الحكومة إذا ترددت فى اتخاذ أى قرار، برغم أن قرارات الحكومة تؤثر فى ملايين البشر، بينما نقف نحن عاجزين عن اتخاذ القرار فى أتفه الأمور.. وبعملية حسابية بسيطة حسبت الوقت الذى أضعته من عمرى مترددًا فى إنجاز أى شأن من الشئون، فوجدت أن ثلث عمرى ضاع فى التردد، وأنى لأحمد الله على ذلك لأننى لو لم أكن مترددًا لكنت الآن وزيرًا على أقل تقدير أو مسجونا على أقصى تقدير.. ولقد ترددت كثيرًا فى أن أكتب فى هذا الموضوع وعرضت الفكرة على المدام.. إيه رأيك بافكر أكتب مقال عن التردد قالت بحماس.. أكتبه فورًا فقلت لها.. بس أنا لسة متردد!!

لندخل الحمام.. ونبدأ الكلام

كلما شاهدت عبد الوهاب وهو جالس فى البانيو ـ (فيلم رصاصة فى القلب) ـ وهو يأخذ دشًا عظيمًا.. ويلقى بالماء على صدره.. وهو يجلجل بصوته الرائع.. يا جمالها والحوض مليان وأنا عايم على وش الميه.. الميه.. يا سلاااام على المايااااه. أحسد عبد الوهاب.. وأدرك تمامًا أنه لم يكن من سكان مدينة نصر.. فلو كان عبد الوهاب يشك للحظة أن الميه ممكن تنقطع.. لما قدم لنا تلك الأغنية البديعة التى تروى العطشان وتطفى نار الحيران.. وأعتقد أن عبد الوهاب هو الذى ورثنا عنه تلك العاده الرائعة وهى الغناء أثناء الحموم..

ولذا فأنا أقوم من نومى متكاسلاً ومش شايف قدامى ومش طايق أكلم حد.. وهما كلمتين اللى باقولهم.. حضروا الحمام!!

ثم أجلس فى السرير شاردًا.. مفكرًا.. ح أغنى إيه النهارده؟!

وكأنى مطرب عنده حفلة فى الأوبرا.. ارتب أغنياتى.. ح ابتدى

الأول بحاجة لنجاة.. عشان لسه صوتى مش طالع.. وبعدين حاجة لعبد الحليم.. وبعدين حاجة شعبية لمحمد رشدى.. و..

يلاحقنى صوت المدام.. حضرنا الحمام بقالنا ساعة.. إنت مش ح تقوم؟!

طبعًا.. لا أرد عليها.. أحمل الفوطة على ظهرى وأدخل منتصب القامة.. متأثرًا بمشية سليم سحاب..

أغلق الباب.. فيخيل لى أننى أسمع تصفيقًا هادرًا من خلفى.. أنزل فى البانيو.. وبعد قليل من البلبطة.. أبدأ فى تسليك صوتى.. عالياداى اليادى اليادى.. يا قلوب متدارية.. ياما جرح الورد أيادى حتى الجناينية.. طرق على باب الحمام.. أقطع الأغنية.. وأرد فى زهق.. نعم؟!

تقول المدام هامسة.. صوتك جايب آخر الشارع.. ما يصحش كده..

أرد فى غيظ.. حاضر.. ثم أقول لنفسى.. نشوف حاجة رومانسية.

ثم بكل نعومة.. أغنى.. بأمر الحب.. افتح للهوا وسلم، بأمر الحب تعالى.. بص لى.. قرب.. كمان.. قرب ـ وطرق تانى على الباب ـ والمدام..

بذمتك أنت مش مكسوف من نفسك.. الشغالة واقفة بتضحك

فى المطبخ.. إحنا مش ح نخلص من الحمام ده.. أصرخ فى غيظ.. حاضر.. حاضر.. ده إيه سدة النفس اللى ع الصبح دى، ولكن لماذا تضحك الشغالة قليلة الأدب دى؟! أشعر أننى مقصر بعض الشىء فيما يختص بالغناء الشعبى.. فعلاً.. عدوية أهيه.. أهيه أهيه ضحكتها نهار.. ولا حاطط رجلى فى الميه إلاَّ ومعايا عدوية.. هنا بأه ليس طرق على الباب وإنما رزع على الباب.. عندنا ضيوف بره!! مش عارفه أتكلم معاهم..

أسألها.. ضيوف مين ع الصبح!!

تقول دى نورا صاحبتى.. وجايه تقضى معايا اليوم.. ممكن تخلص بأه.. أقول لنفسى.. وهل من حق نورا أن تمنعنى من الغناء فى بيتى وفى حمامى؟! ماذا أفعل.. هل استنجد بلجنة حموم الإنسان؟! إن من أبسط قواعد الديمقراطية.. حرية الغناء فى الحمام.. هل أرفع الموضوع لكوندو ليزارايس.. أتخيلها وهى واقفة فى مؤتمر صحفى.. تزغر لنا بلغة وتقول.. يوسف معاطى لازم يرجع يغنى فى الحمام وإلاَّ.. سأغنى.. سأغنى رغمًا عن أنف وأذن نورا.. وأرفع عقيرتى بالغناء ـ نورا.. نورا.. يا نورا ـ اسمك على رسمك صوره.. واندمج فى الغناء. وكأننى فرقة موسيقية كاملة.. صدى الصوت فى الحمام أعطى لصوتى بحه رائعة.. أضغط على الصابونة بقوة شديدة فى حركة موسيقية وهى تروح وتجىء على جسمى مثل قوس الكمان.. الليفه تنفرد وتطوى مثل

الأكورديون.. حالة من السلطنة ملأت الحمام كله.. وانتهت الوصله الأخيرة وأنا فى حالة من النشوة.. وأخرج من الحمام فلا أجد مخلوقًا بالبيت.. حدث هذا فى بداية حياتى الزوجية.. ولكن الآن لم يعد أحد من الأسرة يشكو من تلك المسألة.. فقد تعودوا على ذلك.

الآن إذا توقفت عن الغناء فى الحمام.. تطرق علينا زوجتى الباب وتسألنى.. فيه إيه.. سكت ليه؟ خايفة ليكون حصل لى حاجة..

المشكلة الآن.. أننى لم أعد أغنى فى الحمام.. والسبب أن التليفون المحمول اخترق حياتنا.. حتى فى الحمام.. هل لاحظتم ذلك؟ لم يعد الحمام ذلك المكان الهادئ الملئ بالخصوصية.. والذى يسمح لك بالغناء مع نفسك كما كان يحدث زمان.. صرنا ندخل الحمام لنبدأ الكلام.. وقد اضطررت لدخول حمام فى إحدى الأوتيلات.. حيث يكون بجوارك عده حمامات.. وسمعت جارى فى الحمام المجاور يقول بصوت عالٍ اسمع يا فوزى.. قول له يجيب الفلوس اللى عليه.. أنا ح أديله مهله لحد بكره الضهر.. بعد كده بأه أنا ح اتصرف ثم صرخ بصوت عالٍ.. لو ماجبش اللى عليه قل له طارق ح يطلع عين أهلك.. وقبل أن تنتهى مشكلة طارق وفوزى والفلوس.. أتانى من الحمام المجاور من الناحية الثانية صوت آخر يصرخ.. مش ح أطلقها.. وتعمل اللى هيه عاوزاه.. قول لها كده يا سليمان لما تشوف حلمة ودنها

مش ح اطلقها.. وخرجنا ثلاثتنا من الحمام لنغسل إيدينا على الحوض، همست لأحدهم: اصبر عليه شوية يا أستاذ طارق.. مادام عنده نية السداد.. يبأه ح يدفع - بينما قلت للآخر:

ما تدخلش سليمان بينك وبين مراتك!! نظر كل منهما نحوى باندهاش وتسمرا فى مكانهما.. بينما تركتهما أنا وجريت مسرعًا.. خرج رجل من الحمام الثالث.. وابتسم لى كأنه يعرفنى وقال.. انتوا عاملين صينية بطاطس النهارده ع الغدا؟! بالهنا والشفا.. يبدو أنه هو أيضًا سمعنى وأنا أكلم المدام.. من الحمام..

بوس الفازة..

مع كل التقدير لهيفاء وهبى فأرجو أن يتسع صدرها، أكثر شوية، وتتحمل وجهة نظر مختلفة شوية عن وجهات النظر التى تلاحقها أينما ذهبت.. ولنتأمل معًا أغنيتها الأخيرة. "بوس الواوا" حيث هى فى الأغنية أم تدلل ابنها الصغير الغارق فى الشامبو والشيكولاتة وفقاقيع الصابون.. وبغض النظر ـ إن استطعتم ـ عن ملابس هيفاء الساخنة أمام طفل لايزال فى مرحلة الرضاعة، إلا أن طريقتها فى تدليل الطفل المحظوظ سيكون لها نتيجة من اثنتين.. إما أن الطفل سيصاب بحالة نمو مبكر وبالتالى لن يعيش طفولته، وإما أنه لن ينفطم أبدا وسيظل طفلاً مدى الحياة.. حد يسيب الدلع ده كله ويروح الحضانة ولا المدرسة!! الواد ده ح يقضيها منزلى، ولقد تأثرت كثيرًا لحال هذا الطفل لدرجة أننى فاتحت زوجتنا ذات مرة ونحن نشاهد "بوس الواوا".. أنا نفسى نتبنى الولد ده.. فنظرت نحوى شذرًا وقالت.. واشمعنى ده.. قلت لها عشان أعوضه الحنان اللى أنا مش لاقيه..

فلاش باك سريع يستعرض طفولتى وأنا فى سن الواد ده.. حينما كان أهلى يدللوننى.. بقلمين على وشى أو قرصة فى لباليبى أو قفا حلو كده على خفيف، أحيانًا شلوت فى السريع.. فى إعجاب واضح من السيد الوالد بنبوغى المبكر.. وحينما جرحت نفسى كأى طفل شقى فى هذا العالم.. لم يقل لى أبى بوس الواوا وإنما خلع الحزام وهات يا ضرب.. بتعور نفسك يا أهبل.. وأنا أصرخ.. آه.. آه كفاية.. حرمت.

وهكذا على صوت صراخى. ينتهى فلاش باكى لأعود للمقال أو بالأحرى للكليب، حيث نام الطفل البرىء الذى أحقد عليه من كل قلبى.. على ركبتيها وقد بدا عليه الإرهاق من كتر الدلع.. وهى تحسس على شعره بحنان.. لدرجة أن الدمعه فرت من عينى.. وإذ برجل يطرق الباب فى هذه الساعة.. من بالباب؟! واضح من نظرته أنه ليس أبو الطفل طبعًا.. ما هو لو كان أبوه.. كان طلع يبصرع الواد مايقفش تحت.. قلت ربما أرادت هيفاء أن تستعين بصديق فإذا بها تنزل بفستان أحمر حكاية.. والواد فى إيدها.. مع إنه كان نائمًا منذ لحظة واحدة.. طفل رضيع يا ناس يخرج فى انصاص الليالى ويسهر فى ديسكو، وأنا قاعد فى البيت زى قرد قطع؟! ثم تتركه هيفاء مع الرجل اللى مش طايق الطفل ولا طايق منظره من أول لحظة.. وتطلع هى على البيست لترقص وتغنى بوس الواوا.. ويصهلل الوله آخر صهلله.. وتنتهى السهرة قبل الفجر.. ويعود الثلاثة.. الصديق الذى أخذ بومبة

والليلة راحت ع الفاضى.. وهى تبتسم فى خبث جميل عشان المقلب اللى عملته فى الراجل، أما طفلنا فقد كسب الجولة وعمال يدى الراجل على قفاه طول السكة، ولقد تأثرت كثيرًا لحال هذا الرجل لدرجة أننى فاتحت زوجتنا ونحن نشاهد "بوس الواوا" أنا نفسى أقف جنب الراجل ده.. فنظرت نحوى شذرًا وقالت تقف جنبه فين.. قلت لها فى المرمطة اللى هوه فيها دى.. قالت زوجتنا وأنت تعرفه منين.. قلت لها.. أعرفه طبعًا.. أعرفه كويس.. ده صاحب رجب نظرت نحوى مندهشة وقالت.. رجب مين؟ قلت لها هى مش غنت "رجب حوش صاحبك عنى" أهو ده بأه يبقى صاحب رجب بس رجب مقدرش يحوشه عنها لأنها أساسًا نفضت لرجب وقلبته. فيه حد سامع حاجة عن رجب دلوقت؟! خلاص.. أخد يومينه واتكل على الله.. قالت زوجتنا أنت مش ملاحظ إن دى تاسع مرة نتفرج على الأغنية دى، قلت لها لأنها عامرة بمشاعر الأمومة وأنت تعلمين أن هذه نقطة ضعفى.. قالت فى غيظ أى أمومة فيها ترى.. الولد مستحمى بمية سخنه ومنزلاه بالليل فى عز البرد..

آه من هؤلاء الزوجات يشغلن أنفسهن بأمور صغيرة لا معنى لها.. الست تقوم بواجبها على أكمل وجه.. البيبى أخد الشاور بتاعه وحكت له حدوته قبل النوم، وحجزت له ترابيزة ع البيست فى أحسن نايت كلوب.. ح تقطع نفسها..

ولقد تأثرت كثيرًا لحال هيفاء وهى تحاول أن توفق بين واجباتها المنزلية، وأعبائها الأخرى لدرجة أننى فاتحت زوجتنا ذات مرة وأنا أشاهد "بوس الواوا" للمرة الخمسمائة.. وقلت لها.. أنا عاوز أطلعها فى برنامج الست دى أمى.. فنظرت نحوى شذرًا و... لا لم تقل شيئًا هذه المرة.. كان جنبها فازة.. أمسكت بها و... أى.. بوس الفازة.. بوس الفازة.. "ليك الفازة.."

آه.. أعزائى.. دى لا يمكن تكون فازة دى صاروخ كاتيوشا نزل غلط على دماغى.

fotoyoyo

آخد شفطة.. وأكتب يافطة

أصبت بنزلة برد شديدة.. وازدادت البحة فى صوتى بصورة بشعة مما جعل صوتى يبدو خليطًا عجيبًا بين محرم فؤاد وأسمهان.. مما أزعج زوجتى وجعلها فى كل مرة أنادى عليها فيها تتصور أن معانا حد غريب فى البيت.. وباعتبارى كاتبًا قررت أن أعتمد على قلمى.. فى غياب حنجرتى غيابًا تامًا، فوضعت لافتة على مكتبى كتبت عليها.. نأسف لانقطاع الصوت.. ولم يضايق هذا زوجتى فهى مذيعة بالتليفزيون، واعتادت على مثل هذه اللافتات.. وحينما تمكن البرد منى وافترسنى تمامًا زاد شحوبى وصار وجهى أصفر مثل الليمونة.. فوضعت لافتة أخرى كتبت عليها.. والصورة غير جيدة أيضًا.. وللحق قدرت هى ظروفى تمامًا.. ومارست حياتها عادى معتمدة على لافتاتى.. فكنت أنهض متثاقلاً من على سريرى وأذهب إليها فى المطبخ حاملاً لافتة جديدة كشاب وطنى يمشى فى مظاهرة ضد الاستعمار.. أعمليلى شوربة خضار.. فتومىء برأسها وقد وصلتها

الرسالة.. وكانت فترة مرضى هذه هى من أمتع الفترات التى عشتها فى حياتى، وكأننى لا أعيش فى بيتى وإنما فى فندق خمس نجوم، لاسيما أننى أضفت إلى لافتاتى أشياء من نوعية: برجاء تنظيف الغرفة.. أو أرجو عدم الإزعاج.. وكانت تلك هى أكثر فترة فى حياتى شعرت فيها أن لكتاباتى قيمة حقيقية.. وسرحت بعيدًا.. وأنا أطلق العنان لسرحانى فى فترة مرضى بصورة مهولة.. فلا يمكن أن أظل أبحلق فى سقف الغرفة هكذا ساعات طويلة بلا سرحان.. فقد حفظت السقف واللمبة وكل النقط التى فى البياض.. كل هذا حفظته عن ظهر قلب وأستطيع أن أسمعهولك.. فلا مانع من أن أشرد بعيدًا بفكرى.. ثم أعود بعدها لأبحلق فى السقف هوه ح يطير أهوه قاعد.

شردت يا أعزائى.. فى هذا المصرى العبقرى الذى اخترع الكتابة.. وهى المعروفة بالهيروغليفية.. كيف قفزت الفكرة إلى رأسه.. ماذا كانت حاجته لأن يكتب.. كانت أيامها الحياة ماشية الكبير بيموت والصغير بيتولد.. وكلما مات فرد تموت معه تجاربه.. ومحدش فاهم أى حاجة فى أى حاجة.. كانت الحياة شفوية.. مفيش تحريرى واللى يقول كلمة يرجع فيها.. وبراكين وزلازل ودياصورات.. حد فى المولد ده يفكر يكتب.. ولكنه فعلها ابن الإيه.. وبدأنا نتحسس فى ظلمات التاريخ بشعاع من الضوء، وبدأ الكاتب فى مصر يصبح له

شأن عظيم.. وصارت مهنته الأولى بين جميع المهن.. وهى المربحة أكثر من أى مهنة أخرى، وكان الكاتب فى مصر القديمة يكسب أضعاف ما تكسبه أكبر راقصة فى مصر المعاصرة الآن، فى لوح واحد يكتبه ولا فى لفة بردى.. وكان الأب يشجع ابنه.. كن كاتبًا كى تنعم أعضاؤك وتصير يداك لينة وتسير فى ثياب بيضاء فيعجب بك الناس ويحييك رجال البلاط.. وكان الأمراء والكبراء فى مصر القديمة يقلدون الكاتب فى جلسة القرفصاء الشهيرة.. فى تماثيلهم.. شوفوا التماحيك.. حيث كانت هذه الجلسة المتربعة تعتبر من دلائل الشرف بل إن بعض ملوك الفراعنة ظهر بعضهم فى صوره وهو يحمل أدوات الكتابة.. الدواة.. والريشة.. اعترافا منهم بأهمية الثقافة والمثقفين.

وفى جلسة الكاتب حالة التأمل والعمق والشرود فى المجهول.. ولا أعرف ماذا سيكون موقفه لو جاء ورأى حفيده وهو يبحلق فى السقف كالعبيط، وكانت الدنيا كلها تحت قدمى الكاتب المصرى.. وعلى البرديات القديمة.. جملة للكاتب.. يقولون له فيها.. إن عبارة من شفتيك تكتبها أثقل وزنًا من ثلاثة أرطال.. وكان خليقًا بالكاتب المصرى أن يغتر وأن ينفش ريشه.. فلم تكن قد ظهرت بعد تلك العبارات اللطيفة التى يسمعها كتاب هذه الأيام بتكتب إيه يابا.. ابقى قابلنى لو فلحت، وكمان حاطط لى صورة جنب المقال.. وعايش لى فى الدور ح تعمل لى فيها كاتب.. أفيق من شرودى لآخذ لى استراحة

قصيرة أحملق فيها فى السقف، حيث إنه وحشنى طوال الفترة الشاردة السابقة.. لم يحدث أى تغيير فى شكل السقف والحمد لله.. تدخل زوجتى.. بطبق شوربة الخضار.. وتنهضنى بصعوبة.. أسحب لى شفطة بالملعقة.. ثم أخرج من الكومودينو.. لافته جديدة.. مكتوبًا عليها.. مفيش ليمونة!! تذهب إلى المطبخ لتحضر ليمونة.. أرتعد من البرد والحمى.. وحينما تأتى بالليمونة تجد أمامها لافتة أخرى تقول.. عاوز بطانية، تخرج فى غيظ وتحضر البطانية وتغطينى بها.. ثم تترك الغرفة وتعود بعد قليل وفى يدها لافتة مكتوب عليها.. أنا رايحة لماما.

أنا عندى "نغزة"!!
ساعة تروح وساعة تيجى!!

قالها الشاعر الكبير نزار قبانى لحبيبته.. ثورى.. انفعلى.. انفجرى.. لا تقفى مثل المسمار.. وهو معه حق.. وأيدته سعاد حسنى وهى تشكو مر الشكوى من الواد التقيل، وهى فى شدة انفعالها صارخة وده كده هادى.. هادى وراسى ولا جراح بريطانى.. وأنا أضم صوتى إلى صوتيهما.. فلا طعم ولا معنى للحياة بلا ثورة.. بلا خناقة.. حتى ولو كان انفعالك هذا من بره.. بالعكس.. إن التظاهر بشىء من الهيستيريا بين حين وآخر له فعل السحر.. فقد علمتنا التجارب أن الناس يكرهون حقًا أن يحتفظ غيرهم بهدوئه.. إن ذلك يثير أعصابهم.. فقد حدث ذات مرة أثناء ركوبى السيارة مع صديقة عزيزة أن انفتح الباب الخلفى وانخلع من مكانه، فقلت لها بهدوء انظرى.. ما هذا.. شفتى الباب!! ونظرت فى المرآة وأوقفت صاحبتنا السيارة فى الحال مذعورة.. وحملقت فى وجهى مغتاظة: علام كل هذا الهدوء.. أليست

لديك ذرة من الانفعال.. كاد الباب يسقط بالكامل.. ومنذ ذلك الحين وأنا أتصنع خوفا هيستيريا لأقل سبب.. فأصرخ فجأة.. حاسبى.. خدى بالك.. فيه سلمه مكسورة.. على مهلك.. وأصرخ فيها وهى تتجه بالسيارة إلى اليمين.. إدى إشارة.. إدى إشارة.. فيه عربية جاية من الناحية الثانية.. وحدث ذات مرة أن أهدتنى نظارة شمسية ونسيتها فى أحد الأماكن ثم قلت.. ياه.. نسيت النضارة.. فأجابت وهى تكظم غيظها.. هل هذا هو كل ما يعنيه الأمر بالنسبة لك، أنت مارف دى تمنها كام؟ راحت.. ببساطة نسيتها عادى كده.. فلما تمزقت بعد ذلك الكرافاته التى أهدتها لى.. ضربت صدرى بيدى وولولت منتحبًا.. معددًا فى بكائيه رهيبة.. قائلاً.. إلا دى.. ياخدو عنيا.. ياخدوا روحى.. لكن دى.. الحاجة اللى من ريحتك.. اللى لا يمكن التعوض.. ولطمت على وجهى.. فأخذت هى تربت على كتفى قائلة .. خلاص ما حصلش حاجة.. ما تضايقش كده، بكره يكون عندك أحسن منها.. وأنا أهز رأسى نافيًا.. لأ.. أبدًا.. أبدًا وبدأت الانسحاب التدريجى من التمثيلية ببطء طبقًا للخطة الموضوعة.. ولم أنس أن تغرورق عيناى بالدموع من آن لآخر.. فتسألنى.. مالك.. فيه إيه.. أجيب بلهجة ميلودرامية مفيش.. بس أصلى.. افتكرت الكرافاته.

وبالمثل فإن هذه القاعدة تنطبق أيضًا فى الاتجاه المضاد.. فقد

اكتشفت أنه من الخطأ أن تظل جامدًا أمام مصائب الآخرين.. أو موضوعيًا.. فإذا اصطدمت سيارتها بشجرة.. وتلف الوش الأمامى بعض الشىء أقولك ماذا تفعل: مبدئيًا تلقى على السيارة نظرة مليئة بالفزع والرعب.. ثم تدير رأسك فى الاتجاه الآخر كأنك لا تقوى على مجرد النظر للحادث.. وتهمس لنفسك كأنك تحاول ألا تسمعها ما يدور بداخلك وتقول.. يا ساتر يا رب.. يا ساتر.. راحت العربية خالص.. انتهت.. هيه العين دى مش ح تسيبك بقى.. مصايب ورا بعض كده.. العربية متدشدشه.. الله يكون فى عونك.. يا ريتها كانت عربيتى أنا.. هنا ستجدها هى التى تقول.. حسنًا.. إن الأمر ليس سيئًا إلى هذا الحد، فى التوكيل بيقولوا ممكن تتلم وترجع أحسن من الأول كمان.

والمرضى يجبون من يهول لهم المرض.. وأسخف شىء من يدخل على المريض باسمًا هادئًا.. ويقول له فى برود.. مالك ما أنت زى القرد أهوه.. اعتقادًا خاطئًا منه أن المريض سيقوم من على سريره وتعود إليه صحته من مجرد كلمة.. بل إن مريضًا ذهب إلى أحد الأطباء.. وأشار إلى قلبه.. وقال له.. أنا عندى نغزه فى الحتة دى.. وكشف عليه الطبيب.. وقال له.. أنت واهم يا عزيزى.. قلبك سليم ميه فى الميه ولم يصدقه المريض وتشكك فى كشفه.. ذهب إلى غيره.. وكان رد الطبيب الثانى.. هو رد الطبيب الأول نفسه.. والمريض مصر على

النغزة وحينما ذهب إلى الطبيب الرابع.. كان الطبيب على علم بأنه ذهب إلى أكثر من طبيب قبله.. فكشف عليه.. وقال له.. معقولة.. إزاى أنت عايش وواقف على رجليك وبتكلمنى؟ إنت تعبان قوى.. هنا سعد المريض جدًا وقال له.. قلت لهم يا دكتور لم يصدقنى أحد.. قال الطبيب.. أنت لازم تعمل عملية فورًا.. وبنجه وادخله غرفة العمليات ولم يفعل شيئًا.. فتح مكان النغزة.. وقفل.. وخرج المريض من غرفة العمليات صاغ سليم.. ولم يعد يشعر بالنغزة.

وفى أيام الدراسة كانت لنا زميلة مات كلبها العزيز.. فتغيبت عن الدراسة، وكان يجب أن نزورها حتى نخرجها من الحالة النفسية التى أصابتها بعد فراق رينجو وذهبنا.. وعند أسفل بيتها وقف الزملاء والزميلات وقالوا لى إن هذه المسائل ليس فيها هزار.. وأننى يجب أن احترم مشاعر البنت وإلاَّ.. لا داعى لأن تأتى معنا.. ورضخت لرغبتهم الإنسانية الرقيقة ورسمت على وجهى علامات الحزن والأسى.. وجلسنا جميعا فى الصالون.. فى البداية جاءت أمها تصف لنا حالة البنت النفسية وإضرابها عن الطعام بعد وفاة رينجو.. وجاءت زميلتنا مرتدية السواد.. وعلى وجهها شحوب الموت.. وسلمت علينا فى صمت وجلست.. وكنت أحاول أن أواسيها ولكن كلما هممت بالكلام داست إحداهن على قدمى.. أو يغمزنى أحدهم أن أصمت ظنًا منهم أننى سأقلب القعدة إلى مسخرة، ولكننى فجأة

سألتها.. هو رينجو كان نوعه إيه.. قالت.. جريفون.. قلت لها.. لا عليك.. لا تحزنى.. كلنا مررنا بهذه المواقف.. إحنا كان عندنا كلب فى البيت برضه.. و.. للأسف الشديد.. مات وتقبلنا الأمر الواقع فسألتنى بجدية.. مات إزاى قلت لها.. أكلناه.. وانفجر الجميع فى الضحك وباظت الليلة.. وكانت قطيعة بينى وبينها ولم نتصالح إلاّ بعد وقت طويل.

كان المفترض طبعا.. أن أنفعل معها وانفجر فى البكاء على رينجو.. وتتحول الجنازة كلها لتهدئتى أنا..والمرأة تحب أن تحس باهتمام الرجل من أجلها.. وقد أوقعنى هذا فى كثير من المشاكل استطعت أن أتفاداها أخيرًا.. فكنت أعرف صديقة إذا ارتطم صباعها برجل الترابيزة.. تصرخ صرخة مدوية.. وتمسك بأصبعها.. أى.. آه.. ثلج.. بن.. ميكروكروم.. شاش.. ثم قصيدة من اللوم والعتاب توجه لى.. أنت واقف كده ولا كأن حاجة حصلت.. اللى حتى ما اتحركت.. ولا عملت حاجة.. وأبدو فى نظر الجميع رجلاً باردًا عديم الإحساس.. وذات مرة فتحت الحنفية لتغسل يديها.. وكانت الحنفية على الساخن.. فالتهبت أصابعها.. ورقعت بالصوت الحيانى.. صراخ رهيب فى الحمام كأنها أخذت طعنة بسكين.. وجريت عليها ولكن لا أعلم كيف حدث هذا.. خطأ فظيع.. حينما وجدت أن المسألة بسيطة هكذا.. لم أستطع أن أتحكم فى نفسى.. وانفجرت فى الضحك.. وكان

يوم أسود فى حياتى.. أتضحك وأنا يداى محروقتان.. وأنا أتألم؟! وكان يجب أن أصالحها بالتأكيد.. وشعرت بألم أصابعها المحروقة.. وأنا أدفع لها ثمن هدية الصلح.. وكان الجواهرجى اللعين يضحك وأنا أدفع المبلغ.. وعرفت لماذا غضبت هى حينما رأتنى أضحك.. ومن لحظتها قررت توفيرًا للهدايا أن أنفعل.. وأتأثر لأقل شىء يحدث لها.. يعنى مثلاً مرة ارتطم كوعها بيد الكرسى.. فحدث ما نطلق عليه كهربا.. على اللى أنا عملته يومها.. مندبة.. ولطم.. وأخذت أدلك لها ذراعها فى خوف.. ويداى وشفتاى ترتعشان.. طمنينى.. أحسن دلوقتى.. أكلملك دكتور.. قادرة تحركى دراعك.. وأخذت تحرك ذراعها فى بطء ودلال.. وأنا أحمد ربنا على هذه المعجزة الإلهية.

وبعد.. إن البرود شيمة السذج والبسطاء والغلابة الذين كتب عليهم أن يتحملوا عصبية هؤلاء الانفعاليين.. وأنا لست مستعدًا لأن أتحمل عصبية أحد.. أنا عصبى.. أنا نار.. أنا ولعة.. أنا بقولكوا أهوه.. وإذا كنت أيها العصبى المزعوم.. تعتقد أنك ستخيفنى بزربونتك التى حينما تطلع لا ترى أمامك أحدًا.. فأنا اللى ح اتزربن عليك.. ونشوف حد يهدينا إحنا الاتنين بقى!

الأبواب السرية

تستطيع أن تضبط ساعتك على عم هنداوى المقاول الثرى.. يأتى إلى البيت مرهقًا فى تمام الساعة الثالثة بعد الضهر.. يجلس على المائدة التى تحوى مالذ وطاب من كل الأصناف.. يأكل وهو يبوس إيده وش وضهر شاكرًا الله على النعمة، ثم يلحس أصابعه قبل أن يلحسها الشيطان الرجيم.. وبعد الغداء ينسحب فى هدوء إلى حجرة النوم ليخطف الساعات الأربع المقدسة.. ويغلق على نفسه الباب بالمفتاح، أما زوجته الحاجة نعيمة فهى تقوم بدور الألفة فى البيت، لا صوت ولا حركة يا ولاد.. بابا جاى تعبان ونايم.. وإذا كان لأى من الأولاد طلبات فلابد أن يؤجلها لبعد صحيان بابا، وغالبًا ما يجيب عم هنداوى، طلبات العيال كلها طالما أنه فاق.. وراق.. وبيشرب قهوته فى تلذذ ويرحل عم هنداوى عن الدنيا محدثًا خللا رهيبًا فى البرنامج اليومى لأسرته السعيدة، فهؤلاء الذين يعيشون على وتيرة واحدة ونظام لا يتغير يتركون فراغًا مهولاً فى حياة ذويهم.. وتدخل الحاجة نعيمة حجرة النوم.. وتنهار.. إن أنفاسه فى كل ركن بالحجرة.. عباءته الصوف لا تزال على الشماعة، وبدله وجلابيه وأحذيته

الضخمة.. عم هنداوى كان بيلبس ٤٧ على الأقل.

وظلت نعيمة تحافظ على حالة الطوارئ والصمت الرهيب الذى كان يملأ الشقة وقت نوم عم هنداوى، فكانت تغلق الباب فى حرص شديد.. وتضع إصبعها على فمها حتى لا يتكلم أحد إلى أن قرر الأولاد أن يخرجوا أمهم من هذه الحالة، واقترح أحدهم تغيير أثاث الشقة.. والبياض.. وأثناء تكسير أحد الجدران فى حجرة النوم صرخ أحد العمال تمامًا مثل صرخة هوارد كارتر حينما اكتشف مقبرة توت عنخ آمون، وهو يرى بابًا سريًا فى الحائط لا يمكن أن يرى بالعين المجردة يؤدى إلى الشقة المجاورة.. شقة مين؟! الست عنايات. وتسلل وراء العمال أولاد عم هنداوى وزوجته كبعثة تنقيب عادية جدًا معها تصريح من هيئة الآثار، ليجدوا أمامهم حجرة نوم الست عنايات وصورة كبيرة للحاج هنداوى.. وعباءته الصوف والجلاليب.. والأحذية التى لا تخطئها عين "٤٧" يا جماعة، وتقسم عنايات وهى منخرطة فى البكاء أن سى هنداوى كان راجل ولا كل الرجالة، وأنه كان زوجها بورقة عرفية منذ سنوات طويلة.. وأنها تعيش الآن على ذكرى الساعات الأربع إياهم.. وتخبط الحاجة نعيمة على صدرها.. بقى الراجل عامل نايم وأنا قاعدة اسكت له العيال طول السنين دى كلها.. دى آخرتها يا هنداوى، وكأن هذا الباب السحرى الذى اخترعه عم هنداوى كمقاول محترف هو بوابته

الأخرى لحياة ثانية أراد أن يلعب فيها دورًا جديدًا ومختلفًا، أما نعيمة زوجته فقد انتابتها حالة هيستيرية بعد أن فقدت الثقة فى كل شىء.. مما أورثها حالة عصبية على خفيف تجعلها تنقر على الجدران طول الوقت، فإذا زارت صديقة لها.. تتكلم عادى وفى منتهى العقل ولكنها من أن لآخر تنقر لها نقرتين على الحيط أو على الأرض..

وإذا طالت يدها مقشة.. تخبط بظهرها خبطتين على السقف وتطورت الحالة عندها.. فصارت تتنصت خلف الجدران والأبواب التى فى الشقة كلها، وضبطتها ابنتها وهى واضعة أذنها على باب الحمام وهى فى شدة الانفعال.

وصرخت الحاجة نعيمة شوفى المحروس أخوكى بيكلم مين.. مين الله معاك جوه يا واد؟ الحمام ده أكيد وراه حاجة قالت ابنتها.. ما بيكلمش حد ده بيغنى يا ماما.

وحسمًا للشك قامت بفتح الشقة كلها على بعضها، فأصبحت الجدران لا يفصل بينها سوى بعض البرافانات، ثم تركت الشقة كلها عزلت نهائيًا.. أخذت دور كامل على السطوح.. روف.. منها للسماء علطول عشان تدعى على عم هنداوى..

أعزائى هذه قصة حقيقة حدثت بالفعل.. ولكن من منا ليس الحاج هنداوى؟!

من منا لا يحتفظ بأبواب سرية يغلق عليها أشياءه الخاصة، سواء كانت جميلة أو مشينة، فذلك الرجل الذى اتهمته امرأة لا يعرفها بأنه اغتصبها، وإنها حامل منه وقع فى ورطة لم ينقذه منها إلا حينما كشف عليه الطبيب الشرعى وأقر براءته، بل وأكد له أنه لا يستطيع الإنجاب نهائيًا، وكانت أبشع براءة فى حياته على الإطلاق لأنه كان متزوجًا.. وللأسف.. يعول.. يبدو أن زوجته.. كان لها أبوابها السرية هى أيضًا.

fofoyoyo

أنا عاطل إذن أنا موجود

تقرير عجيب قرأته فى مجلة النيوزويك يقول إن معدل الخيانة الزوجية لدى النساء يقترب من معدل الرجال.. وقد كانت نسبة الرجالة الخاينين أكثر بكثير جدًا من النساء، برغم أن هؤلاء الرجال يمارسون الخيانة دى مع نساء برضه!

ولكن أن يترك زوج زوجته لامرأة أخرى، كان ذلك أكثر شيوعًا بكثير من أن تترك زوجة زوجها لرجل آخر.. وتقول "ميشيل وايز ديفيز" وهى مستشارة فى المسائل اللى زى دى.. إنها حينما بدأت عملها فى بداية الثمانينيات كانت نسبة الخيانة النسائية ١٠٪ وهى تعتقد أن هذه النسبة تناهز الخمسين بالمائة الآن.. يعنى لو ركبت الباص فى أمريكا وكان فيه عشرين واحدة.. وحصلت أى ملاغية مع أى منهن قبل ما تدوس لازم تعرف أن حضرتك تبأه ولامؤاخذة.. الرجل الثانى!!

وتقول طنط ميشيل "لقد بدأت النساء فجأة بالسماح لأنفسهن

بتخطى الحدود مثلما يفعل الرجال".

واهتمامى بالتقرير لا يرجع إطلاقًا لما يدور فى أذهانكم الآن من أننى لا سمح الله بأشاور عقلى.. والله أبدًا!!.. أسباب الخيانة الزوجية فى أمريكا ترجع إلى مناخ بيت الزوجية الأمريكى، الذى صار على مستوى العواطف باردًا جليديًا قارسًا، بينما بيت العشيقة يكون غالبًا مثل مناخ بغداد أو دارفور أو قندهار.. وهو ما يفضله الرجل الأمريكى الذى يعمل ليل نهار، ويكد ويكدح خلف لقمة العيش من صباحية ربنا، ويعود آخر اليوم لبيته مش قادر يصلب طوله.. فلا حلة ميه سخنة تدعك له فيها زوجته رجليه.. ولا شبشب يوضع تحت قدميه، ولا فوطة تتبعه حتى يصل إلى الحمام. فكل هذه الأعمال اللطيفة التى كان من شأنها أن تمتع الرجل الأمريكى ربما تحدث فعلاً فى الوقت نفسه مع رجل أمريكى آخر.

نعود للزوج الأمريكى المنهك من العمل المتواصل ومش قادر يصلب طوله.. والذى تعود زوجته هى الأخرى من العمل ولكنها يا أخى تكون على العكس منه تمامًا.. فى قمة الحيوية وقادرة تصلب طولها ومش قادرة تصلب طوله هوه.. مما يجعلها تفكر على الفور فى حد تانى لكى يشعرها أنها مازالت مثيرة للاهتمام، مادام زوجها يشعرها دائمًا بأنه مثير للشفقه.. وبناء على ذلك فالعمل المتواصل هو

السبب المباشر فى الخيانة الزوجية:. يبأه إحنا نحمد ربنا ونبوس إيدينا وش وضهر أيضًا، قاعدين لا شغلة ولا مشغلة والبطالة اللى بتشتكوا منها دى بكره تقولوا يا يوم من أيام البطالة، وطول ما انت مريح من الشغل حسك فى البيت يبأه وسع كده تشخط الشخطة فى بيتك يترج.. عاطل أه.. إنما ثابت وجودك ما هى مش حكاية رايح الشغل وجاى من الشغل برضه..

سبب آخر من أسباب الخيانة الزوجية أكدته طنط ميشيل، هو انتشار شبكة الانترنت، حيث أربعة ملايين موقع إباحى تعج بمواقع متخصصة للأشخاص الذين يريدون خيانة زوجاتهم أو أزواجهن.. مش عاوز أقول أسماء المواقع عشان إحنا جايين نهدى النفوس.. يعنى مستر جورج كان لسه دابب خناقة مع مسز جورج راح رازع الباب وخارج.. بتحصل والله. يروح فين؟!!!!

فى الأفلام عندنا كانوا بيودوه كباريه عشان يقابل رقاصة تسيب كل الأغنيا اللى فى الكباريه وتحبه هو ـ على فقره ـ لسبب بسيط لأن هوه بطل الفيلم طبعًا، وكل الأغنيا دول كومبارس.. ويقعد البطل يشرب وفى الآخر يبص للجرسونات ويقول لهم بكل ثقة.. معنديش فلوس.. ليه.. لإنه عارف إن قبل ما حد يمد إيده عليه ح يصعب ع الرقاصة وح تقول لهم حساب الباشا عندى.. أما لو راح قسم فغالبًا

ح يكون الضابط النوباتشى جدع أمير قوى وح يقسم معاه اللى فى جيبه، وهذا الكلام طبعًا لا يصلح مع المجتمع الأمريكى.. أين توقفنا صحيح.. لما جورج رزع الباب فى خلافه مع مسز جورج خارجًا فى غضب، ولم ينس أن يأخذ معه اللاب توب.. ولم يكن وقتها يبحث عن كباريه أو بار لينسى فيه همومه.. إنما فقط كان يبحث عن فيشه يضع فيها سلك اللاب توب، وراح داخل ع الموقع فوجد كل ما يشتهيه الزوج لنفسه فى هذه اللحظة.. فهذه مسز فلان تقول إنها لسه صاحية ليلة السبت مانامتش وجوزها سهران فى الشغل، ومش ح ييجى إلاَّ يوم التلات.. وما كدبش مستر جورج الخبر.. مفيش وقت للتشاتينج يا إخواننا، وصف لها ظروفه ووصفت له نفسها، وصف لها حالته ووصفت له الشقة، ولم يعترض رجل الأمن الواقف أمام العمارة بعد أن تأكد من نية الطالع.. وقد صدم زوج آخر اسمه جون لاساج وهو مواطن أمريكى عاد إلى منزله ذات يوم ليجد زوجته قد اختفت ،قلب عليها الدنيا ولما يأس من أن يجدها دخل ع الزفت ـ النت ـ كانت المدام قد أنشأت غرفة دردشة يدخلها الرجال ويرسموا عليها والبيه فى الشغل وكلمة فى حدوته.. الوليه طفشت مع واحد.. ويبدو على ما أعتقد أن مرات جون لاساج هى اللى راح لها مستر جورج لما كان زعلان مع مراته.. ما هى الدنيا دى صغيرة وأمريكا كلها قد إيه يعنى؟

وإحنا نحمد ربنا أن استخدام النت عندنا لم يصل إلى هذه الدرجة، ولذا لنتعلم من التجربة الأمريكية فى الخيانة الزوجية، ولنستفد من تقرير طنط ميشيل وحتى تظل البيوت عمرانه.. ولا تخرب.. قاطعوا النت.. وحافظوا على البطالة..

شملوول فى استنبوول

أعتذر.. أكرر اعتذارى.. أتأسف، لكل طاقق لم يجد مقالتى الأسبوع الماضى، والأسبوع الذى سبقه، وأنا أعلم جيدًا أنكم مقموصون، وهذه القمصة وسام على صدرى وإذا كان لكم عندى حق عرب، أنا جاهز، وسبب امتناعى عن الكتابة ظروف طارئة أعتقد أنكم على علم بها.. آه، بدأتم تبتسمون، فعلاً، لقد فعلتها، هكذا فجأة، بلا مقدمات، طقت فى دماغى كالعادة وروحت عاملها، قمت من النوم الساعة تسعة ونص وخمسة، لا يا ربى، كانت عشرة إلا ربع بافتح التليفزيون لقيت مذيعة جديدة بتعمل حوار مش فاكر عن إيه، بنت لطيفة وباين عليها مؤدبة، وطيبة، بصيت لها والله هايلة، إحنا لازم نتقابل فى عمل، فى برنامج. راحت المخرجة اللئيمة جايبلها كلوز يعنى قربت منها قوى بالكاميرا، عرفتها، دى منى الشرقاوى، عملت معايا حلقة فى مساء الخير ورحت رافع السماعة وطالبها، إيه البرنامج الجميل ده، إيه الحضور الجميل ده، وطبعًا كل ده نفاق وحركات

قرعة، متهيألى هيه كانت فاهماها.

المشهد الثانى وأنا باكلم عمرو أخوها، وبنخلص فى الموضوع. المشهد الثالث أنا وأمى رايحين نقرأ الفاتحة، بس. بعد كده أنا فاكر طشاش، كل اللى حاسس بيه، إنى عمال أجرى من مكان لمكان، وعمال أدفع دم قلبى، وأقابل كمية ناس عمرى ما أتخيل إنى أقابلهم، عمال صنايعية بتوع ديكور سباكين، مأذون، القاعة، الأوتيل، تذاكر السفر، الفستان، الورد وقبل الفرح بساعة، فى عز الظيطة الكبرى، اكتشفت حاجة بسيطة خالص، إنى نسيت أجيب بدلة الفرح، وانتشر أصدقائى ولاد الحلال، ده يجيب لى القميص من محل، والبدلة من حتة والبابيون، وأتساءل لازم بابيون يا جماعة، يصرخون فى وجهى أيوه لازم والعروسة مصرة أن يكون المأذون بعمة زى بتوع زمان اللى بيطلعوا فى الأفلام، يمسك يدى ويضعها فى يد وكيل العروس، والمنديل، ويقول ردد ورائى، وأنا وراءه ح أروح فين يعنى وخطف أحدهم المنديل، وخلاص، هكذا أصبحت زوجًا، بعد دقائق هدوء كنت أنا وهى فى الطائرة إلى استنبول، سألتنى لماذا اخترت استنبول بالذات، قلت لها نحن ذاهبان إلى الأستانة حيث الدولة العثمانية، وكأن خيالى المجرم يحاول أن يعمق بداخلها الترادف بين الزواج والاحتلال، أعادت السؤال: لماذا اخترت تركيا لشهر العسل؟ قلت

لها، سمعت أن هناك مناوشات بين تركيا وسوريا على الحدود، وتلك هى فرصتى لأثبت فيها شجاعتى فى المواقف الصعبة، يجب أن نبدأ حياتنا بتحديات ضخمة حتى نستطيع أن نصمد أمام الـ خ خ خ خ آه، يبدو أنها نامت أثناء حديثى.

ووصلنا استنبول

اللغات الثلاث التى أتكلمها غير العربية، لا تساوى بصلة فى تركيا، الذى يعرف أربع لغات فى تركيا يعتبر أميًا، لماذا لا أحد هناك يعرف أى لغة فى الدنيا، ولا حتى لغة الإشارة، ولا حتى اللغة التركية فى اعتقادى؟ وأدركنا من البداية أن لا أحد يفهمنا، إذا أردنا أن نأكل أو نشرب أو نفعل أى شىء، نظل ساعات نشرح بأيدينا، مثل برنامج بدون كلام، ولكن يبدو أن البرنامج هناك ليس له جماهيريته عندنا، وكنا نجبر على أكل ما يوضع أمامنا، بطريقة الأمر الواقع، وبطريقة البطن الواقع برضه.. ح نموت من الجوع ومحدش فاهمنا، وقلت لها شفتى بقى إن أنا أكثر واحد فاهمك فى تركيا، الشحاذون فى تركيا عليهم ألاطه ماشفتهاش فى أى مكان فى الدنيا، قميص وكرافاته ونضاره شمس ويد ممدودة، ويزغدك فى كتفك فقط لينبهك لوجوده، وأعطيته، ولا أعلم لماذا شعرت أنه بالنقود التى يشحذها منى يريد أن يدفع مصاريف النادى له وللأولاد.

وذات ليلة قررت أن أعزمها على سهرة لبسنا ونزلنا، ووقفنا فى

الشارع لمدة ساعة ونصف الساعة نسأل الناس ولا أحد نستطيع أن نأخذ منه عقاد نافع، طلعنا تانى الأوتيل، وكانت من أمتع السهرات التى قضيتها فى حياتى وأرخصها، وفى اليوم التالى سألتها بحنان: تحبى مانروحش فين النهاردة؟! ريحة الأكل هناك بشعة، لا تطاق، إحنا عندنا أجمل أكل فى الدنيا كلها، أمهاتنا ربنا يخليهم نفسهم حلو، هناك لا تستطيع أن تتحمل رائحة الطعام، شعرت بالقىء كذا مرة، قلت لنفسى أحسن أكون بأتوحم، وأنا لسه عريس جديد، وسرحت فى طبيخ أمى الذى كان لعابى يسيل، وقلبى يدق من الفرحة حينما أشم رائحته، وسرحت هى الأخرى فى طبيخ أمها الذى كانت تاكل أصابعها وراءه، وكانت تلك السرحانة فى الطبيخ من ألطف اللحظات الرومانسية التى شعرنا بها فى الرحلة.

المسألة ليست مسألة لغة، التفاهم هو اللغة العالمية، الواد بليه صبى الميكانيكى إذا استوقفه أحد السواح وسأله بالإنجليزى بالألمانى بالياباني، أى سؤال، اتفرج على بليه ونباهته، عفريت فى اللغات، إنها موهبة، ومشكلتنا أننا سبعين مليون موهوب، أنزل الشارع وأسأل أى حد فين شركة كذا، سيصمت قليلاً قبل أن يجيبك وسيتنهد باحثًا عن أسرع طريقة للوصول، ثم يضع يده على كتفك ويسألك، أنت معاك عربية واللا ماشى، ستجيب ماشى، سيقول لك ماشى ماشى، مفيش مشاكل أنت رايح الشركة الفلانية، طيب، فين

الجامع؟! فين الكشك بتاع السجائر، فين البنزينة اللى على ناصيتها محل عصير قصب، ويظل يسألك هو، فين، فين، فين، حتى يلتقط طرف الخيط من عندك لتصل إلى ما تريد، تلك هى عبقرية البنى آدمين عندنا.

وبعد أن يئسنا من أن نجد أى حد يدلنا على أى حاجة، أقنعتها أن كريستوفر كولومبس، لم يستعن بأى إنسان فى رحلاته، فلماذا لا نكتشف بأنفسنا؟ قالت لى كريستوفر كولمبس كان مسافر لوحده يا أستاذ، أنت معاك واحدة، قلت لها جميل، أنت تمشى من هنا وأنا أمشى من هنا، وكل واحد يكتشف حاجة يقول للتانى عليها، حذاء رياضى خفيف، وسيرًا على الأقدام نتسكع، هكذا.. ياللا ولحظى الأسود تقودنا أقدامنا إلى عثمان بيه، وعثمان بيه بالمناسبة ليس شخصًا إنه شارع متكدس بمحلات الملابس، طبعًا فهمتم ما حدث يا إخوانى، الأسعار هنا بالليرة التركية، البلوزة مكتوب عليها أربعين مليون ليرة، حاولت أفهمها بعض الشىء لافتًا انتباهها إلى أى حاجة، تصورى إستنبول زحمة قوى، لا تزال عيناها معلقة بالبلوزة أم أربعين مليون ليرة تصورى، الحته دى شبه شارع سليمان باشا، تقترب تمامًا من الفاترينه التى فيها البلوزة أم أربعين مليون ليرة، الجو حر هنا زى مصر، مش كده!! لا ترد علىَّ تأخذنى من يدى إلى المحل، أنا لا يهمنى، هنا لا تستطيع أن تفهم أى حد ولا أى أحد يفهمك، الحمد لله سندخل المحل، ونخرج

كما دخلنا سأقول فور دخولى جود مورنينج، وسيردون جميعًا فى صوت واحد، نو إنجليش يعنى مفيش إنجليزى، استقبلنى صاحب المحل قرأت فى وجهه أنه لا يفهمنى، وارتحت لهذا الشعور، جود مورنينج، يرد بسرعة نورتوا المحل، استنبول نورت، يادى الحظ، يا ابن الجنية تعرف عربى؟ واشترينا البلوزة أم أربعين مليون ليره طبعًا، وبدأت هى التى تلهينى عن التفكير فى البلوزة، يا نهار أسود بلوزة بأربعين مليون ليرة، فترد عليا، تصور استنبول زحمة قوى، الحق دى شبه شارع سليمان باشا، ولا كأنها اشترت حاجة.

وقضيت مع عثمان بيه ـ شارع المحلات ـ ثلاث أرباع المدة، واستطعت فى هذه الفترة القصيرة والحمد لله، أن أعدل نظام الاقتصاد التركى، وأن أرفع مستوى معيشة الفرد فى تركيا باعتبارى سائحًا فى شهر العسل.

تجربة فريدة وغريبة بالنسبة لى، وبالنسبة لها طبعًا، تقوم فجأة فى نصف الليل، مسروعة، وهات يا عياط، انتفض من نومى مفزوعًا، مالك بس؟ تقول والدموع تملأ عينيها: افتكرت ماما، عاوزة أكلمها، ارفع سماعة التليفون، أسرح فى الفاتورة المتوقعة ونحن نغادر الأوتيل، أثناء حديثها مع مامتها، وفى اليوم التالى على الغداء، تمسح دموعها فى صمت، مالك الأكل مش عاجبك؟ لأ، أصلى افتكرت أختى، أرفع سماعة التليفون، أسرح فى الفاتورة

المتوقعة، وتكلم مروة، فواتير التليفونات، والهدوم، كل الفواتير التى دفعتها وكل شىء فى الدنيا، لا يساوى شيئًا ويهون أمام نظرة من عينى أم محمود.

fofoya.com

البنت دى بنتى !!

fofoyoyo

دى حكايتى مع الزمان

اعتاد أمثالنا من ذوى النضوج والخبرة.. على أن نعكن على الجيل الجديد ونكرهه فى عيشته.. لإنه لم يعش أيامنا الجميلة وزماننا اللى محصلش.. هوه انتوا شفتوا حاجة.. ولا اكلتوا ولا شربتوا.. هوه انتوا زمانكوا ده فيه حاجة!! جتكوا البلا.. واعتاد أبناء الجيل الجديد.. أن يستمعوا للحكايات الرهيبة التى نحكيها عن الأيام الجميلة التى عشناها.. والتى لم يعشها هذا الجيل الفقرى.. ويحلو لنا (غالبًا) كآباء وأمهات أن نقدم أنفسنا لأبنائنا (المساكين) فى صورة نموذجية.. حيث إننا جميعًا كنا شبابًا ملتزمين.. مكافحين.. مؤدبين.. وأنهم للأسف.. مش عارفين العيال الجداد طالعين كده ليه بس!!

واسمحوا لى أن أواجه ابنتى ذات الستة أعوام أو بالأحرى أواجه نفسى بالحقيقة.. لا يا بنتى.. لم نعش أيامًا جميلة ولا حاجة وعشنا أيامًا زى الطين.. وإنى لأحقد عليك أنت وجيلك من كل قلبى.. ولولا المعزة التى بيننا.. لكان لى معك شأن آخر، الشيكولاتات التى تلقى

عند قدميك هذه.. لم نكن نسمع عنها من أصله.. والأكل الذى تأكلينه يا عزيزتى.. محدش فى أهلك شافه من أصله.. وحكاية إن أكل زمان كان بيمرى وكان فيه بركة والكلام الفارغ ده ليس صحيحًا.. الشوربه التى أبوس رجلك حتى تشربيها كنت أبوس رجل أمى حتى تتحفنى بشويه سخنين بلسان العصفور، ولم يكن فى استطاعتها. آلاف الجنيهات التى أدفعها لحضرتك فى كى جى وان وكى جى تو.. لم يدفعها لى أبى منذ يوم ولادتى وحتى تزوجت وأنجبت سيادتك.. بالنسبه للملابس يا آنسه فأنا لم أشأ أن أفرِّجك على صورى وأنا فى المرحلة الابتدائية.. حتى لا تتصورى أن لأبيك جذورًا صومالية.. وإذا دققت فى الصورة.. فستجدين أن القميص الذى كنت أرتديه يبدو فضفاضًا بعض الشىء.. لا لم يكن ذلك على سبيل الفاشون.. وإنما لأنه كان قميص الوالد الله يرحمه، وكان يتنقل ـ كتر خيره ـ من الأب للابن الأكبر، حتى يصل لى وكنت أصغر إخوتى الصبيان مارًا بكل مراحل التعليم..

نأتى لمسألة اللعب.. لم يحدث أننى اشتريت لعبة فى أى يوم من الأيام، حيث إن الطفل الذى يطلب لعبة كان يعد فى أيامنا من المشبوهين فى عالم الأطفال..

بالنسبه للريموت الذى تمسكين به بيدك وتحركين القنوات.. وترين الكارتون.. وسندريلا وتويتى وتوم وجيرى.. معتبرة أن هذا يعد أمرًا

واقعًا.. أحب أن أؤكد لسيادتك.. أننى عرفت "ميكى" على كبر.. ولم أكن أقتنى المجلة بل كنت استعيرها وأقرأها (بخرص شديد) ثم أعيدها لبائعها الذى كان خبيرًا فى رفع البصمات، ولذا يجب أن تعرفى أن زمانك أحسن من زماننا بكثير.. وأن الباص والميس والبارتى.. والويك إند.. كل هذه الأشياء لم تكن فى قاموس أبوكى طول عمره.

أما الصورة النموذجية التى تحاول "مامى" أن تقدمها لك فيما يختص بالتزام "بابى" وأدب بابى.. وأخلاق بابى.. فهذه أيضًا كذبة كبرى.. لا لم أكن مؤدبًا يا آنسة.. ماذا تنتظرين من طفل يلعب طوال الليل فى الشارع حافيًا كره شراب!! أرجوكى لا تسألينى ببراءتك ذلك السؤال الذى يغيظنى.. وليه يا بابى ماكنتش بتروح نادى الجزيرة!! أما بالنسبة لحكاية إنى دائمًا كنت من الأوائل.. فهذه حقيقة.. ولم يكن هذا نابعًا من ذكائى المتوقد أو نبوغى المبكر.. إطلاقًا.. كان الذى يرسب أيامنًا يا عزيزتى.. ليس أمامه أى فرص أخرى.. الواد مش نافع فى الدراسة نشوف له أى شغلانة يتعلمها.. وأنا إمكاناتى اليدوية كانت محدودة للغاية.. ولذا لم يكن هذا اجتهادًا فى الدراسة، وإنما كان نوعًا من تنفيذ حكم الأحكام.. أما بخصوص ميس انجى الخواجايه الجميلة التى تدرس لك.. وتشترين لها (على حسابى) هدية عيد الأم كل عام، فيقابلها فى حياتى الاستاذ عبد الغفار الذى كان يبدأ حصته دائمًا.. بمد الفصل كله على رجليه..

عيشى يا ابنتى حياتك وتمتعى بها.. لقد حكيت لك حكايتى.. فلم يكن زماننا جميلاً ولا قطران.. زمانكم أنتم هو الأجمل.. وهذا ليس كلامى أنا.. هذا ما قاله لى أبى الله يرحمه.. وأنا فى نفس عمرك تقريبًا.. حينما كان يتعجب من الإمكانيات المهولة المتاحة لطفل مدلل مثلى جاء إلى الدنيا ليجد كل شىء يقدم له على ملعقة من ذهب..

.. وأنا لن أحكى لك حكاية أبى.. أحسن تحطيلى بريزه فى إيدى وأنا قايم.

يعجبنى أخدك للكتب بالحضن

هى لقطة بديعة لازالت ذاكرتى تحتفظ بها، كلما مررت أمام مدرسة إعدادى أو ثانوى بنات: "اليونيفورم الكحلى" والضفائر الطويلة.. وشنطة الكتب التى لم يكن لها مكان سوى صدر البنت البريئة تحتضنها فى كسوف، وكأنها درع واق من نظرات الذئاب أمثالى أنا وعصابتى الأوغاد من تلاميذ المدرسة الإعدادية المقابلة، نحو ذلك الجزء بعينه الذى ينمو عند البنات ويتوقف عن النمو عند الذكور فى المرحلة نفسها.

وكان هذا التشبث البناتى البرىء بهذه الشنطة فى هذا الوضع العاطفى، يلهب خيالنا المراهق.. وكل منا كان يتخيل نفسه شنطة أو حتى أكلاسير، وكانت وقفتنا أمام سور مدرسة البنات، أو على الناصية الأخرى أمام الباب مجرد وقفة وإن كانت لا تخلو من مغزى، فهى الإرهاصة الأولى التى تبشر بأننا تخطينا مرحلة الأكل

والشرب والجرى فى الفسحة والزحلقة على درابزين السلم، إلى مرحلة أخرى صارت لنا فيها اهتمامات جديدة تعلمنا فيها التصفير بأصبعين.. ورمى الزلط الصغير على فتيات أحلامنا.

وكانت البنت تخرج من المدرسة وهى تحتضن شنطتها وتمشى علطول، وهى تمد كأنها خائفة من شىء ما.. لا تنظر وراءها ولا يمينها ولا شمالها.. ثابتة النظرة إلى الأمام فى توجس، كغزالة فى غابة من الوحوش.. وكنت فى طفولتى قد تعلقت بفتاة لا أعرف اسمها ولا أى شىء عنها، حتى هذه اللحظة التى أكتب لكم فيها.. كنت أتبعها حين خروجها من المدرسة.. وأظل ماشيا وراءها حتى تصل إلى البيت، ثم أعود أدراجى إلى بيتى وقد شعرت بأننى أديت المهمة.. وكنت أتساءل فى ضيق.. لماذا لا يتزوج المرء وهو فى التاسعة ما المانع؟.. ما الذى ينقصنى؟

ولكنى لم أجرؤ على التصريح برغبتى هذه أمام مخلوق.. ولا حتى أمامها، أعنى الحبيبة المجهولة. إلى أن لاحظ أبى أننى أتأخر يوميا فى الوصول إلى البيت، وحينما سألنى اعترفت له بكل شىء وما هذا الكل شىء الذى اعترفت به؟ لا شىء.. وحينما حاول أبى أن يثنينى عما أفكر فيه بدعوى أنه أب ويجب طبعًا أن يقول التفت لدروسك ولما تكبر إن شاء الله ح تحب وتتجوز.. هنا شعرت أن أبى هو العقبة

الكؤود التى تقف أمام كل قصص الحب الرائعة، ونما بينى وبين أبى شعور عدائى استمر من أجازة نص السنة فى رابعة ابتدائى، حتى امتحانات آخر السنة، أحسست يومها أنه يذلنى وقررت أن أقتحم فتاة أحلامى وأعلن لها عن حقيقة مشاعرى، فهى كما تعلمون فى تالتة ابتدائى، وتلك هى السن المناسبة للبنت التى تختار فيها شريك حياتها.. إيمانًا منى بأنها لو وصلت إلى سنة ستة.. ستطير من يدى وسيخطفها واد جاهز فى أولى إعدادى.. وأحزن عليها بقية عمرى.. وعليه.. اشتريت من أمام باب المدرسة.. شوية نبق وشوية حرنكش ونوجة.. وذهبت إليها محملا بكنوزى التى اعتبرتها وقتها.. ربط كلام.. للحق رفضت البنت فى البداية أن تقبل هديتى المغرضة، بدعوى أن باباها قال لها ماتاخدش حاجة من حد، ونما بينى وبين أبيها شعور عدائى استمر من أجازة نص السنة فى رابعة ابتدائى حتى هذه اللحظة.

وحدث أن أفضى لى زميلى فى التختة أنه هو أيضًا يحبها.. ولما كان زميلى هذا هو أنتيمى وأقرب الزملاء إلى قلبى.. فلم أغر منه ولم أحزن ولم ينم بينى وبينه ذلك الشعور العدائى الذى كان أحد معالم شخصيتى فى تلك المرحلة.. واتفقنا اتفاق جنتلمان أن أحبها ثلاثة أيام فى الأسبوع، وهو يحبها الثلاثة الأخرى، على أساس أن يوم الجمعة

أجازة. وحدث أن تركت حبيبتنا المشتركة المدرسة لتسافر مع أبيها إلى الخليج.. وقد هجرت كلينا بقسوة رهيبة..

ولازلت أذكر ذلك اليوم الكئيب الذى جلسنا أنا وزميلى فيه، نشرب حمص الشام أمام باب المدرسة، ويكاد يقتلنا الحزن ولكن زميلى فى حبها سرعان ما نسى الأمر برمته.. تاركًا البيعة كلها لى.. فكنت أواظب على المرور من أمام بيتها الخالى كل يوم، ناظرًا إلى بلكونتها مصدرًا بفمى نغمة حزينة تاتاتاتا.. كنوع من الموسيقى التصويرية المناسبة لرومانسية المشهد.. وحتى لا أطيل عليكم.. نستطيع أن نتصور أن أوراق النتيجة تسقط علامة على مرور السنين أو أن شجرة صغيرة.. صارت نخلة سامقة بقدرة قادر.. ولا داعى لاستخدام عجلة ماكينة الخياطة وهى تدور لسبب بسيط لأننا ما كانشى عندنا ماكينة خياطة..

وصرت شابًا مراهقًا يتناثر حب الشباب على وجهى.. وتحت أنفى زغب ناعم كأرض زراعية لم تستصلح بعد.. أما حنجرتى فكان بها عيب شاكمان واضح، وكان أبى يضحك حينما يسمع صوتى الأجش.. قائلا فى سعادة.. الواد صوته تخن..وأحببت للمرة الثانية.. وهذه المرة لم أتقاسم حبى مع صديق.. ولم أكتف بثلاثة أيام فى الأسبوع.. أحببتها وحدى تمامًا.. بطريقة المنتج المنفذ وعرفت الغيرة للمرة الأولى أيضًا، ولكن ظلت حدود مشاعرى تنتهى عند وجه من

أحببت.. ولم أجرؤ على أن أتأمل ملامح جسدها وتضاريسه، أما هى فكانت سعيدة بنظراتى.. منتشية بحيائى.. ولأنها كانت أكبر منى سنا فقد دعيت مرغمًا لأحضر فرحها.. وكانت جالسة فى الكوشة.. واستطعت أن التقط أو هكذا تخيلت لا أعلم.. أنها سددت لى نظرة بين الزحام والهيصة فسرتها فورًا على أنها مجبرة على هذه الزيجة، وقلت لنفسى وأنا أتأمل زوجها الذى نما بينى وبينه شعور عدائى بالتأكيد.. ليهنأ هو بجسمها أما وجهها فهو لى، ويبدو أننى كنت قد تعودت على الشراكة فى الحب منذ الصغر.

اسمحوا لى الآن أن أستعين بمجموعة من الدوائر التى تدور بسرعة أمامكم، علامة على أن مقالى هذا كله فلاش باك، ولنرجع فى ثانية إلى أرض الواقع حيث تمر أمامى الفتاة ذات الأربعتاشر ربيعًا مرتدية البودى الذى يفسر كل العمليات الحيوية التى أنكب العلماء على دراستها، ناهدة الصدرة وكأنها تقول فى جرأة.. أنا أهوه وأنت أهوه.. ولا تحتضن شنطتها القديمة وتضمها إلى صدرها ولا هى تمشى مرتجفة ثابتة النظرة إلى الأمام وإنما تلف لك بوجهها.. وبنصف جسمها وتلوى بقها.. فيه حاجة كابتن.. ولابد لاتزان المعادلة الكيميائية.. أن يكتمل البودى بالاستريتش.. فهذا لا يصلح إلاَّ بذاك.. ويشدو صوت إيهاب توفيق.. انتى مش واخدة بالك.. انتى مش لابسة حاجة، والغريب فى الموضوع أن الاستريتش ضيق من

فوق وواسع من عند القدمين، يعنى فكرة الرحرحه موجودة.. فلماذا لا يكون البنطلون استريتش من عند القدمين وواسع من فوق؟ قالت لى فى غضب كده يبقى سروال إسكندرانى.. إحنا رايحين نصطاد؟! غريبة المرأة فى مبرراتها!!! زمان حينما كان المينى جيب موضة كانت المرأة تتحايل على الموقف وتمسك شنطة وتضعها على ركبتها، اليوم كم شنطة تحتاجها المرأة.. لتغض عنها النظر.. أنا أقولكم.. شنطة على البودى.. وشنطة على الاستريتش.. وبلوفر تلفه على وسطها ولا أعلم إلى الآن ما حكاية هذا البلوفر الذى تربطه الفتاه على وسطها بالأكمام، كأنها داخلة خناقة.. قال صديقى الذى يشكو من ابنته المراهقة.. البنت قالبه دماغى على بلوفر صوف قلت له جيبهولها يا أخى.. الدنيا برد.. قال فى أسى.. ما هى مبتلبسهوش.. بتلفه على وسطها. كانت المرأة قديمًا تبرد فى الشتا.. ويخلع الرجل جاكتته ويحيط بها كتفها فى حنان.. فهل يخلع الرجل اليوم جاكتته ليربطها لها على وسطها.. خلاص يا أعزائى.. الرومانسية صارت نكتة.. وأسمع دى.. بيقولك مرة واحد رومانسى.

.. ودول بأه..

بنات الأيام دى..

fofoyoyo

البلوزات طالعة.. والبنطلونات فى النازل

يبدو من العنوان.. أن مقالى هذا عن الأسعار.. لا هذا ليس مقالاً عن الأسعار.. وأحب أن أطمئن فى البداية السيدات اللاتى يرتدين البلوزات والبنطلونات، أن ارتفاع أسعار الثياب الحريمى لا يمثل مشكلة إطلاقًا.. لأن الله سبحانه وتعالى من نعمته على النساء أن خلق لهن كائنات تسمى الذكور هم الذين يدفعون ثمن هذه الأشياء للنساء.. وقد يتصور البعض من عنوان المقال.. أنه مقال رمزى على أساس أننا نحن الكتاب، نحب دائمًا أن نقول أشياء ونحن نعنى أشياء أخرى على سبيل الفلسفة يعنى.. والكلام الكبير لا يصبح كبيرًا إلاَّ إذا كان يحمل معنيين أو كان لا يحمل أى معنى.. إنما مقالى هذا وبوضوح شديد عن مساحة الحرية التى نمارسها..

ربما لألفت نظركم إلى أشياء شاهدتموها ولم تستوقفكم، فقد

انتشرت يا أعزائى فى هذه الأيام ظاهرة شبابية.. حيث ترتدى الفتيات بلوزات طالعة لفوق خالص كاشفة عن البطن ونصف الظهر!!

أما إذا أسعدك حظك واضطرت صاحبتنا أن تلتقط شيئًا من على الأرض.. أو حتى مالت يمينًا أو شمالاً.. تستطيع أن تحدد بدقة لفة كاملة ٣٦٠ درجة من هذه المنطقة من جسدها.. التى على ما يبدو لم تعد عورة ولا حاجة.

ويصاحب هذه الظاهرة العجيبة ظاهرة أخرى وهى ظاهرة نزول البنطلونات إلى أسفل، بطريقة توحى أن البنطلون لامؤاخذة ح يقع.. فلا حزام ولا كمر ولا حد قال لها اقلعى السفالة اللى إنت لابساها دى.

وهكذا.. إذا كانت البلوزة فى طلوعها تقدم لنا مساحة ما مكشوفة من الجسد، وإذا اضفنا لها المساحة الناتجة من نزول البنطلون فكأنك تحصل على قطعة محترمة من الأرض بوضع اليد، أعنى دون أن تدفع شيئًا..

وأننى كنت لأ تعجب من المرأة الهندية وهى ترتدى السارى الهندى عارية البطن، وظللت لفترة طويلة أعتقد.. أنها نسيت أن تلف الرداء جيدًا عليها فانكشف، وكنت أحاول أحيانًا أن أنبهها بالإشارة طبعًا أن بطنها باينة.. ولكن طبعًا لغتى الهندية لم تسعفنى ولغتى الإنجليزية

لم تطاوعنى.. إنما أن يصبح هذا المنظر مصريًا ودون خلفية فلكلورية فهى مسألة تدعو للدهشة حقًا.. فلا نساء الفراعنة فى مصر القديمة كن يمشين عاريات البطون، ولم تسجل النقوش الفرعونية على أى من الجدران.. صورة لفتاة ترتدى بلوزة طالعة على بنطلون نازل.. ربما باستثناء الصورة الشهيرة للعازفات الثلاث التى نراها فى مقبرة الشريف "نخت" وبجوارها صور أخرى لبنات كثيرات غيرهن يتمايلن فى خلاعة على الجدران فى فيديو كليب فرعونى.. مما يؤكد أن الشريف نخت وهو رجل أعمال فرعونى قديم.. لم يلحق باختراع اسمه السى دى والاَّ كان صورها سى دى ونزله السوق، ومع ذلك كانت الفتاة المصرية القديمة قمة فى الأدب والأخلاق والحشمة.. فماذا حدث لنا؟!

إن فتاة تخرج بهذا الشكل من بيتها لتجلس فى مكان عام، وتضرب لها حجرين معسل، يعنى إن أباها رآها ولم يتكلم.. وأمها مافتحتش بقها.. وأخوها ضرب طناش جامد.. مما يؤكد فعلاً أن البلوزات طالعة والبنطلونات فى النازل.

حينما فازت إيطاليا بكأس العالم لكرة القدم، خرجت النساء عاريات فى الشوارع ابتهاجًا بالنصر الكبير، وكنت هناك وقتها وشاركت الشعب الإيطالى فرحته وقد كان لعريهم سبب.. فرحانين بأه.. إنما إحنا بنتعرى على إيه؟ ده إحنا واخدين صفر!!

.. فتش عن الرجاله

لماذا لم نعد نسمع عن هؤلاء الرجال الذين يطلعون الأتوبيس ويأتون بأفعال منافية للآداب.. وينهال عليهم الركاب ضربًا ثم يهتف أحدهم.. اطلع على القسم يا أسطى.. ثم.. مليتوا البلد يا ولاد ال..؟ لم نعد نذكر ذلك ولا نسمع عنه.. كان يحدث هذا منذ عشرين أو ثلاثين سنة.. ثم انتهى تمامًا.. لم نعد نسمع عن هؤلاء الذين يأتون بأفعال تخدش الحياء العام.. قالوا إن السبب فى هذا كانت أزمة المواصلات، وتكدس الأتوبيسات بالركاب.. ولكن الأزمة لا تزال موجودة فهل حدثت طفرة فى الأخلاق؟! أم أن فتورًا أصيب به الرجال فلم يعد أحد منهم عنده نفس لأى حاجة؟! أم أن الحياء العام لم يعد هناك ما يخدشه لأنه مخدوش أصلاً؟! الأتوبيسات برغم زحامها تمضى هادئة هدوءًا مريبًا.. لا رجل يتحرك ولا امرأة تشكو.. وكأنهم جميعًا ذاهبون إلى حتفهم.. الأذهان شاردة.. والناس اللى فيهم مكفيهم.. جرائم الاغتصاب صارت قليله الحدوث.. ولا تحدث إلاّ

نادرًا من هؤلاء الذين تعاطوا المخدرات وفى حاله غير طبيعية.. ألا يوجد رجل طبيعى يغتصب يا ناس؟.. النساء على الشاشات عاريات.. فى المقاهى وفى الشوارع وفى الكليات.. لم تعد الفتاه تخشى الخروج بملابس مكشوفة، فقد فعلت ذلك كثيرًا ولم يحدث شىء.. لم يتحرك أحد..

فقط يرمقها الرجال الجالسون بنظرات محبطة ثم يديرون وجوههم.. وفى اليوم الثانى.. تعرت أكثر.. وهم زاد طناشهم ولم يحركوا ساكنًا.. ماذا حدث!! أين الذئاب البشرية؟! الرجل إذا فقد إحساسه بالمرأة.. يفقد إحساسه بالحياة كلها، ويفقد رغبته فى العمل فلا يخترع شيئًا ولا يكتب قصيدة.. ولا يسعى للتفوق أو التميز فى أى شىء.

إن كل القصص التى فى الدنيا ما هى فى النهاية إلاّ قصص حب بين رجل وامرأه..القصة الألمانية مثلا تبدأ بحبيبين يريد كل منهما الآخر.. ولكن البطل لا يظفر بالبطلة إلاّ فى الصفحة الأخيرة، أما القصة الفرنسية فتبدأ بحبيبين برضه ولكن يظفر كل منهما بالآخر فى الصفحة الأولى.. ويطلعوا عين بعض لحد الصفحة الأخيرة.. أما القصة الروسية فتبدأ ببطلين لا يحب أحدهما الآخر ولا يظفر أحدهما بالآخر.. طوال ألف صفحة تتكون منها القصة.. أما قصتنا إحنا..

القصة المصرية فتبدأ ببطل يغازل حبيبته.. وهو يقول لها.. أنا واد خلاصه لاصه وميه ميه.. وإحنا العيال اللى هيه.. وما إن تحين الفرصة لكى يظفر بحبيبته.. حتى يقول لها.. أنا آسف.. معلش.. مش عارف مالى النهارده؟!.

وقصة عنتره بن شداد بكل ما فيها من صراع وتحد ورفض للعبودية.. ما هى فى النهاية إلا قصة جنسية لرجل يريد امرأه..وتاريخ الكون كله يبدأ بصراع بين قابيل وهابيل على امرأه، بل إن الشباب كانوا هم دائمًا صناع الحضارات، ومفجرو الثورات لأنهم كانوا لا يزالون يرغبون المرأة.. ويظل الكهول وكبار السن لا يفخرون بشىء ولا يتحدثون إلاَّ عن شبابهم وما فعلوه فى شبابهم.. تلك المرحلة التى يتحول فيها الرجل من فاعل مرفوع إلى فعل ماض.. وأنا شخصيًا منذ بدأت أحكى لأصدقائى عن ذكريات الشباب أدركت تمامًا خطورة الموقف الذى أنا فيه.. بعد أن تحولت من ذئب بشرى.. إلى راجل قعدته حلوه وكلامه زى العسل.. إن ظهور الشعيرات البيضاء دلالة قوية على بداية الأيام السوداء فمشاعر شاب فى العشرينات.. حينما يلتقى بامرأة جميلة.. تكون مثل مشاعر أسد جوعان كان يتمشى فى الغابة.. ووجد غزالة شاردة.. وهنا تتلخص علاقته بها فى أقل عدد ممكن من الكلمات وأكبر عدد ممكن من الأفعال.. على فين؟: إيه نظامك؟: ويشدها إلى عرينه.. وخلصت على كده..

بينما حينما يلتقى كهل بامرأة جميلة.. تصبح مشاعره مثل مشاعر غزال شارد يلتقى بأسده.. وهنا بأه.. يصبح الكلام كثيرًا جدًا.. ويبدأ بينه وبينها حوار إنسانى طويل.. وجمل من نوعية.. أحكيلى ظروفك.. وإنتى إيه اللى وصلك لكده.. أوعى تفتكرى إنى عاوزك علشان حاجة كده ولا كده.. وقد فاجأتنى إحداهن بسؤال مباغت.. هو انتوا مفيش فى دماغكوا غير كده؟!.

قالت لى ذلك.. وأنا ماكانش فى دماغى كده خاااالص..

امسك أعصابك شويه

إذا خبطتك خبطة على ركبتك عند الصابونة، يتولد لديك شعور بالألم، ينتقل فورًا إلى المراكز العصبية فى المخ، ويرجع منها حالاً فى صورة حركة لا إرادية.. ترتفع منها رجلك مع الخبطة فجأة.. (حاسب وشى)، وهذا ما كان يفعله أى طبيب أمراض عصبية بالشاكوش.. حينما يدق على صابونة رجلى ليرى سرعة استجابة أعصابى.. (أنا شايط أربع دكاترة فى عينهم قبل كده).. وقد أكدوا لى أن أعصابى تلفانة قوى، وإنى لازم أمسك أعصابى أكثر من كده..

وهذا ما يحدث لك حينما ترى امرأة مثيرة من هؤلاء اللاتى يظهرن أمامنا على شاشات الفضائيات.. فما إن تراها.. أنا عارف الأعراض كويس.. اهتزاز فى شبكة العين.. (ماتركزش قوى عشان مش ناقصة حول هيه)... ارتجاف فى أعصاب السمع.. أربع مرات مراته تنده عليه وهو ولا هنا.. ارتعاش فى الأطراف ينتقل إلى المراكز العصبية فى صورة حركية أيضًا.. قعد يمشى بالكرسى من غير ما يحس كان ح يخش بيه جوه التليفزيون.. ذلك الشعور الذى أحس به جدنا البدائى

المتوحش من مليون سنة فهجم على جدتنا و... الله يسامحه بأه، ولكن أنت أيها المتمدين يا رجل القرن الواحد والعشرين تأبى ذلك.. أنت رجل متحضر.. تملك إحساسك وتضغط على عواطفك وتكبح جماح رغباتك وتمسك نفسك.. وتنظر لكل هذه الأمور عاادى جداا.. سواء كانت المغنية قاعدة فى بانيو أو نائمة تتقلب على سرير.. أو فى خلوة مع حصان.. ح تعمل إيه يعنى!! أنت لابس قميص وبنطلون مش لابس جلد نمر وناطط من على شجرة.

ولذا لا أعلم لماذا تثار كل هذه الضجة من أجل أن بعض النساء يظهرن عرايا على المحطات الفضائية وهن يغنين؟! فالأشياء التى ظهرت وأعنى هنا النهود والسيقان والبطون، ليست جديدة على البشرية.. ولا أدرى لماذا يتحسر البعض على الغناء الأصيل وأيام أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم؟ فما علاقة هذا بذاك؟ لو رجعنا مليون سنة كده قبل الميلاد فى العصور البدائية ستجدون أن النساء كن يمشين هكذا لا يسترهن إلاَّ رموز بسيطة ولم يكن ذلك يضايق الرجال وقتها.. ولم يكن يسعدهم أيضًا.. كان ذلك هو العادى.. وظهور هؤلاء المغنيات على الفضائيات لا يختلف عن ظهور أنثى فوق قمة جبل، يراها أفراد القبيلة فيتشاجرون من أجلها.. وتحدث معركة يموت فيها حوالى عشرين ثلاثين واحدًا، ثم يخطفها أحدهم وتختفى بعدها تمامًا.. كان هذا يحدث من حوالى مليون سنة قبل الميلاد، ودى

طبعًا أيام ما تتعوضش هو ده بأه الزمن الجميل فعلاً، تبأه ماشى فى الصحرا تلاقى قبيلة ملط معديه قدامك.. ولا صحافة تشتمهم ولا نقاد تهاجمهم ولا يجيلهم حتى دور برد.. ولم يكن ظهور امرأة ترتدى ورقة التوت يلفت نظر أى حد، وربما لم يستفز النساء وقتها سوى تلك المرأة (الصايعة) التى سترت نفسها تمامًا بجلد جاموسة وفراء ثعلب، فأثارت الرجال ولفتت انتباههم وتغامزت النساء قائلات.. هى عاملة فى نفسها كده ليه؟!

ويزعل النقاد (معرفش ليه) ويكتبون ويهاجمون ويحللون.. وفى النهاية ستختفى المغنية فى أحد الكهوف مع ثرى من أثرياء القبيلة.. بالمناسبة.. هيه فين شاكيرا دلوقت؟! جاء علينا وقت.. كنا نصحو وننام على شاكيرا.. وحينما ظهرت.. انزعجت كثير من الزوجات وهن يشاهدنها.. انزعجن من الإمكانيات ليس إلاّ وتحسر كثير من الأزواج وهم يشاهدونها.. وقالوا على مضض إرضاء لزوجاتهم.. جسمها مش متناسق عاملة زى القلة، ولم يعترفوا أن بق من القلة دى يروى العطشان ويطفى نار الحيران.. واختفت شاكيرا أخذت يومينها واتكلت على الله.. وهذه تسقط من فوق شجرة فجأة.. تراها.. تندهش.. تنهبل ثم.. تروح لصاحب نصيبها.. وهذه تخرج علينا من الكوخ فارعة هيفاء ـ والله ما أقصد حد معين ـ ده مجرد وصف.. وكلهن فيهن عنف العصور البدائية.. والحياة البرية الأولى..

وصحتهم شديدة قوى.. وأنت؟!! ما أنا عارف أنت ح تقوللى.. شوية برد يرقدوك ٢١ يوم.. ده إحنا بق يا راجل إنما برضه.. ما إن تظهر أى منهن.. عنينا تندب فيها رصاصة، ما مما أكد لى أن الغريزة الجنسية هى بحق إحدى عجائب الدنيا.. ولكنها لا تشبه العجائب المشهورة ـ كحدائق بابل المعلقة أو حتى الأهرامات ـ فهى أكثر العجائب الإنسانية خلودًا.. وذلك الشعور الذى انتاب امنحتب الثالث حينما شاهد الملكة تى أول مرة، ولم يمسك أعصابه، كم أعجب وهو يتكرر بعد آلاف السنين عند سيادتك وأنت تشاهد الفضائيات..

نهدأ شوية يا إخواننا ونمسك أعصابنا.. ونتعامل مع غناء القرن الجديد بمنتهى الحضارة والكياسة، إن هذه الدوشة التى نعملها حينما نرى مغنية عارية هى التى تخلق جوًا من الإثارة ربما أكثر إثارة من المغنية نفسها.. ولا تنسوا أن الجمهور الغاضب الذى يشتم فريقه.. يشجعه دون أن يدرى.. ويلهب حماسه.. ولاحظوا إن كل مغنية تتعرى تصبح نجمة غلاف فجأة على أغلفة جرائدنا ومجلاتنا.. هكذا بين يوم وليلة.. فلا حل لهذا النوع من الغناء.. سوى الاستغناء.. وامسك أعصابك شويه.

ولا حياء لمن تنادى

العلاقة بين الحياء والحياة علاقة وثيقة، تتعدى تشابه حروف الكلمتين إلى مضمون كل منهما، وفى الصعيد يقولون عن الرجل إنه رجل حى.. يعنى أنه خجول.. أما الرجل الآخر الذى تندب فى عينه رصاصة فهو رجل ميت لا تجرى فى عروقه دماء.. وبرغم رجولة الصعايدة وبأسهم الذى ليس به شك فإن بهم حالة من الخفر والكسوف بديعة.. فهو قبل أن يدخل بيتك يصرخ صرخته المهولة.. يا ساتر، واضعًا رأسه فى الأرض حتى لا تقع عيناه بطريق الخطأ على أى حرمة من الحرمات، أو أن تكون "سكينة" خالعة راسها ولا حاجة!!

بل إنه حين يبتسم (غصب عنه طبعًا) يحمر وجهه فى خجل وكأنه يعتبر ابتسامته هذه خلاعه، وتهتكًا يعتدى على جدية وجهه الصارم.. والخجل هو نقطة الاختلاف الفاصلة والأساسية بين الإنسان

والحيوان.. فالكلاب لا تخجل.. والقطط ليس عندها دم، والأسود فى حديقة الحيوان تفعل أى شىء فى القفص أمام جمهور المتفرجين.. ولكننا أيضًا نحن البشر لم نختش على دمنا وفعلناها.. وظهرت صور وأفلام تخجل منها الكلاب نفسها وصار العرى والتبذل.. حضارة.. ومودرينزم، وصار من يعمل أفلامًا بها مشاهد جنسية صارخة هو سقراط العصر الجديد، يتجلى وهو يفلسف لجمهوره المحروم فكرته عن الحرية والإباحية، ويقال إن الرئيس كلينتون فى بداية حكمه للولايات المتحدة الأمريكية اجتمع بصناع السينما فى هوليود.. وقال لهم أنتم زعماء الفن السينمائى فى الدنيا.. أنتم يا رواد الفن لماذا تملأون أفلامكم بالمشاهد الجنسية المثيرة؟! اهدأوا قليلاً.. واعملوا أفلامًا أخلاقية ترتفع بالذوق العام.. وأصدر أوامره بأن توضع علامة حمراء على تلك الأفلام التى تحتوى مشاهد خارجة، وأن تمر على الشاشة إشارة بأن هذا الفيلم لا يجب أن يشاهده من هم دون الخامسة عشرة من عمرهم، لأنها تتضمن إما كلامًا يخدش الحياء أو مشاهد تخدش الحياء.. وقد أفادت نصيحة كلينتون وأضرت فى الوقت نفسه، إذ أن بعضهم كان يرى العلامة من هنا.. ويتربص أمام التليفزيون من هنا.

الطريف أنه بعد سنوات حينما ابتلى كلينتون نفسه بفضيحة "مونيكا" الشهيرة، وكان على كلينتون أن يدلى بشهادته فى التحقيق

أمام "كينيث ستار" وأمام الملايين فى العالم كله.. سأله ستار.. هل أقمت علاقة جنسية مع مونيكا لوينسكى؟ فأجاب كلينتون.. أنا لم أقم علاقة معها.. إنما هى التى أقامت علاقة معى بشفتيها، وحينما سأله وأنت ألم تفعل شيئًا معها؟ قال كلينتون. أنا لم ألسمها لقد استخدمت سيجارى!! وإذا بالعلامة الحمراء والإشارة إياها تمر على الشاشة، ممنوع لأقل من خمس عشرة سنة أن يستمع إلى كلام الرئيس، وأعتقد أنها سابقة تحدث لأول مرة فى التاريخ، أن يتكلم الرئيس مع الجمهور فنخرج العيال من الحجرة ونحن نزجرهم.. خشوا على أوضكوا عيب الريس بيتكلم يا قللة الحيا.

لاشك أن أصدق تعبير عن ذلك هو ما كتبه المؤلف الأمريكى بنيت فى كتابه؟ وفاة الحياء الأمريكى، ولا أعلم لماذا حينما رأيت كلينتون وهو يتحدث عن القضية الفلسطينية مظهرًا تحيزه الواضح ومحاباته للعهر الإسرائيلى.. لا أعلم لماذا شعرت أن علامة حمراء.. وإشارة لمن هم دون الخامسة عشرة يجب أن تظهر على الشاشة.

البنت البريئة.. ما تقولش بيئة

جميع الأفلام التى صورت فى الجامعة نجحت نجاحًا مهولاً.. لماذا؟! لأن الشباب هم الجمهور الحقيقى للأفلام.. فإذا وجد الشاب نفسه فى الفيلم.. اعتمده.. مضى عليه.. فى فيلم الخطايا مثلاً.. يلتقى عبد الحليم (ح. ميم) ونادية لطفى (سين.. سين) كنديين فى الانتخابات.. ثم.. ما محبة إلا بعد عداوة.. محاضرة فى كشكول فى سكشن يقع كل منهما فى حب الآخر.. ثم تظهر شخصية فاخر فاخر الأب الريفى الأسبور التقدمى الذى لا يمانع إطلاقًا فى أن يلتقى عبد الحليم بنادية لطفى، ويذاكروا مع بعض والباب فى الباب.. تروح له ويجيلها.. عادى.. ويروق هذا بالطبع للشباب المتعطش للحرية.. وفى فيلم "خلى بالك من زوزو" الطالبة صباحًا.. الراقصة بعد الظهر يتحالف معها الطلبة كلهم ويأتمرون بأمرها.. وحين ينكشف أمرها كراقصة.. يذهب إليها رئيس اتحاد الطلبة بنفسه فى بيتها بشارع محمد على ليعلن لزوزو ألماظية أن الجامعة كلها تقف وراءها.. ليس كفرقة

بالطبع.. فهى عندها فرقتها.. وإنما لتعضدها وتساندها، وصارت قصص الحب فى الجامعة بعد فيلم الخطايا بالذات من المواد الأساسية التى يمر بها الطالب فى الكلية.. فكلنا ذهبنا إلى الجامعة بحثًا عن نادية لطفى، وكلنا استلفنا كشاكيل المحاضرات لا لنذاكرها.. وإنما جر رجل يعنى.. وأنا شخصيًا مريت بقصة حب جامعية نسخة طبق الأصل من فيلم الخطايا، والفرق الوحيد إن أبويا طلع أبويا فى الآخر.. وهناك فرق آخر أنها تزوجت غيرى.. لا أعلم لماذا؟ ربما لأننى كنت أحبها على طريقة الخطايا.. بينما كانت هى تحبنى على طريقة الوسادة الخالية. عمومًا.. أنا أيضًا أكملت قصة حبى معها على طريقة معبودة الجماهير.. فاجتهدت وكافحت حتى صرت أكتب مقالاً أسبوعيا فى الكواكب.. أتصورها بعد قراءة هذا المقال تجىء لى.. نادمة فأخذلها.. بلاش عتاب.. باختصار تلك هى الطريقة التى كنا نحب بها فى أيام الدراسة.. والتى ـ على ما أعتقد ـ ما زلنا نحب بها إلى الآن..

وأنتم يا أعزائى.. كيف تحبون.. كلمونى عن أيامكم.. عن حبكم.. عن كشاكيل محاضراتكم.. هكذا كنت أسأل نخبة من شباب الجيل الجديد، فوجدتهم يتبادلون النظرات فى سخرية مكبوتة.. كأننى والعياذ بالله.. ونظرات أعينهم تنطق بجملة واحدة.. أنت عبيط واللا شكلك كده! وقالت لى أجرأهن.. لا يا أستاذ النظام النهارده.. نظام طحن.. قلت لها مفزوعًا.. نعم؟! أكد صديقها على كلامها فأيده..

نظام طحن، ولما حاولت أن أفهم وطلبت المزيد من الإيضاح.. فهمت منهم حكاية الطحن هذه بأنهم يعيشون كل شىء حتى الشمالة فإذا أكلوا.. يدبوها.. وإذا رقصوا.. يهدوها.. ثم إنهم لا يؤمنون بالحب ولا الزواج.. وتقول لك البنت بلا مبالاه.. يا عم دماغك.. أنا شاريه دماغى.. حب إيه وجواز إيه.. إيه شغل "البيئة" ده.. وأتوقف مرة ثانية كمن لُكِمَ على وجهه فجأة.. بيئة؟! وإيه حكاية البيئة دى كمان.. وهل تتركون الكلمة هكذا بدون توصيف.. بيئة عالية.. بيئة واطية.. بيئة متوسطة.. ابتسمت صاحبة الروج الغامق وقالت.. ولماذا كل هذا.. يكفى أن تقول إنه إنسان بيئة..لتعنى أنه بلدى وواطى ومش كلاس، وبالتالى فهم يعتبرون المدارس الأميرية "الحكومية" مدارس بيئة.. بعكس مدارس اللغات التى هى "روشة" بالطبع.. قلت لها بلهجة الخبير.. لأ.. روشة دى أنا عارفها.

ولأن الحب الأول الذى يأتى فى أيام الدراسة والمراهقة والأحلام.. هو أجمل الأوهام التى يمر بها الإنسان فى حياته.. ولأن أغانى عبد الحليم ـ الله يرحمه ـ صنعت قصص حبنا ونسجتها بكل تفاصيلها.. طريقته فى النظر إلى حبيبته.. المسكنة التى يتكلم بها.. النهجان وهو يتكلم.. وقلبه الذى يخفق بشدة.. كل هذا كنا نفعله.. حتى بدون أن نكون عيانين ولا حاجة.. ثم إن الأشعار التى كانت هى معيننا الذى لا ينضب.. كانت لقيس بن الملوح الذى أصابه

السقم والهزال والدوخة بعيد عنكوا من فرط الحب، وحينما أشفق عليه الناس.. أحضروا له شاة.. وشووها له ع الفحم.. وكل يا قيس يا بنى!! اتمقت يا حبيبى!! وقيس.. أبدًا.. الحب يسد نفسه عن كل شىء فى الحياة.. نجيب لك بابا غنوج يرد قيس لأ.. أنا عاوز بابا ليلى.. ولكنه فجأة.. من الريحة والسمنة.. والخروف اللى على الفحم.. ريقه يجرى فيطلب أن ياكل القلب قلب الشاة فالقلب كما تعلمون خفيف.. وقيس مايباكلشى سمين.. فيردون عليه.. بأن القلب مش موجود.. الظاهر الراجل اللى كان قاعد بيهوى ع الخروف.. ضرب عليه عوافى.. وزلطه وهو شغال.. ويكتئب قيس.. ويقول: **وشاةٍ بلا قلبٍ تداوونى بها وكيف يداوى القلْبَ من لا له قلبُ..**

هكذا كنا نحب يا أعزائى.. أشعار وجوابات غارقة فى البارفان.. وأزهار جميلة.. ولأن الأزهار تترك بعض شذاها فى اليد التى تهديها.. كانت قصص الحب لها طعم.. ولون.. ورائحة.. وكانت صورة "الطالبة الحبيبة" صورة رومانسية بديعة لبنت بريئة خجول ترتدى الزى المدرسى، وتحتضن شنطتها تخفى بها صدرها.. وكأن شنطتها درعها التى تتلقى وابل نظراتنا.. التى كانت فى الحقيقة لا تقل حياء وخجلاً عن البنت نفسها، وتشدو لنا شادية.. أجمل من غنت للبنات.. **مكسوفة.. مكسوفة منك.. مش قادرة مش قادرة أقولك.. إنى بحبك..** فالاعتراف بالحب هو عمل تسنده المرأة للرجل وتعتبره من أهم خصوصياته، وتغنى أم كلثوم.. **نعم أنا مشتاق.. وعندى لوعة**

ولكن مثلى لا يذاع له سر.. وحينما يرى عبد الحليم (ح.. ميم) حبيبته (سين.. سين) يرتبك ويتوتر.. وينصحه أخوه الخبير قوى فى النساء.. والصايع.. بأن يعد من واحد لعشرة.. حتى يكبح جماح مشاعره.. والآن يا أعزائى.. انقلبت تمامًا هذه الأمور.. فأجد وائل كافورى.. يتساءل على استحياء.. **مين حبيبى أنا..ردى عليا قول.. فترد عليه نوال الزغبى بجرأة أنثوية غريبة.. أنت اللى بحبه أنا.. أنت اللى بريده** أنا.. يا نهار أسود يا جدعان.. إنها هى التى تعترف.. الفضيحة جاية من عندها.. وتغنى داليا فى جرأة أكثر.. **أنا بحبك انت.. بحبك زى ما انت.. يلوموا الناس عليا.. ما يلوموا الناس عليا..** إنها كما يبدو ولا يهمها أحد.. والثنائى حميد وهشام عباس يغنيان.. **أنا وانت اتنين تالتنا.. الحلوة اللى اختارتنا..** كيف هذا يا ناس.. واحدة تختار اتنين؟! ثم يعمق أحدهما مبدأ الصداقة ويغلبه على مبدأ الحب.. فيقول.. **أنا كنت بجد غاير.. بس ما تغلاش عليك حلال عليك..** ما هذا.. هل هى سيارة.. ولاعة.. ولا قزازة برفان؟ موقف غريب يستدعى موقفًا آخر لغنوة كان عبد الحليم وصاحبه.. يحبان واحدة ولكنها هى التى تحسم الموضوع فى الآخر.. ويقول العندليب.. **وقالت لى أنا من الأول باضحك لك يا اسمرانى..** يعنى البنت محددة ومن الأول.. وواحد فيهم اللى كان فاهم غلط.

ومن هنا.. نخلص إلى أننا نعيش فى عصر المرأة العصرية، فهى قوية عملية جريئة.. تضع أصابعها فى عين التخين.. وأكبر دليل على ذلك..

إن اتنين ستات.. نص نص.. روشوا أقوى راجل فى العالم.. وخلوه يكلم نفسه.. وكل ما فعلتاه أنهما أعلنتا بكل بجاحة أن كلينتون زودها شويه ومد إيده متحرشًا بهما.. وأنه غمز لهما غمزة كده معناها مش حلو.. ولعب لهما حواجبه.. وقامت الدنيا ولم تقعد.. وإذا قارنا بين موقفه وموقف دوق وندسور الذى تنازل عن عرشه من أجل حبه لمغنية.. نجد أن الأيام اختلفت والعصر اختلف.. فأنت هنا فى صراع بين الواجب والعاطفة.. تغلبت فيه عاطفة الدوق فترك عرشه ومجده.. وآثر الصمت واخذ حبيبته وقفلوا بيتهم عليهم.. بينما الموقف فى البيت الأبيض الآن صراع بين النسوان والدنجوان.. أقرب إلى صراع رشدى أباظة مع زوجاته.. فى فيلم الزوجة ١٣.

فى الواقع نحن نعيش فى عصر مادى حقير جدًّا، حتى أن قصة الحب الوحيدة التى أخذت شكلاً رومانسيًا إلى حد ما فى عصرنا (ديانا ودودى) انتهت بكارثة تحت النفق، ولذا حينما استدعيت أيام الحب والدراسة.. ببراءتها وصدقها.. والتى كنا نعيشها من خلال الأفلام العاطفية.. الرومانسية.. لم أكن أتصور أن شباب هذا الجيل يستوحى قصصه العاطفية من فيلم الفتوة.. ولم أتخيل أن يذهب طالب إلى مدرسته (ح.. ميم) وفى جيبه الورانى مطواه قرن غزال.. يبقى ح.. ميم ده.. حرامى مطلوب القبض عليه، أو أن أرى بنتًا فى عمر الزهور (سين.. سين).. فى إحدى الخناقات تضرب ولدًا بالشلوت

وبالركبة فى بطنه.. تبقى سين سين دى.. سورى سافلة.. وأخيرًا عندى فكرة طاقة.. تسمعوها منى.. درسوا للطلبة والطالبات فى المدارس مادة جديدة.. اسمها "الحب والرومانسية".. اجعلوا الموسيقى مادة أساسية واختاروا من الشعر أجله وأكثره رقة.. واعملوا جوائز للمؤدبين.. الذين يختارون ألفاظهم واخصموا عشر درجات من الطالب أو الطالبة.. الذى يقول أيًا من الكلمات الثلاث.. روش.. بيئة.. طحن.

fofoyoyo

روح.. جاتك خيمة

يعلو صوت النقشبندى فيغزو أعماقى ويلهب مشاعرى، وتمتلكنى رعدة غريبة.. وحالة من الشفافية (كلوز أب) لصورة أبى يرحمه الله بالطاقية البيضاء والجلابية.. (الزى الرسمى للشهر الكريم) وأمامه المصحف.. حيث كان حريصًا على أن يختمه عشر مرات فى رمضان، وكانت هذه هى فزورتنا العائلية.. من يقرأ من القرآن أكثر.. يحظى بجائزة فى نهاية الشهر الكريم.. ولم تكن الشركة المعلنة التى تتولى توزيع الجوائز سوى أبى.. وكان يبدأ فزورته اليومية بعد الإفطار، فيجلسنا جميعًا أمامه لنقرأ القرآن وكانت متعة.. ومع بداية الشهر الكريم.. أفتح خزنة الذكريات لأجد رصيدًا عامرًا بالحب والألفة والعذوبة لقطات سريعة ومتلاحقة.. وهم يوقظوننى عنوة وأنا متكلفت بالبطانية..أفضل النوم والدفء على السحور، فأستيقظ تحت إصرارهم.. وأنا مغمض العينين.. آكل وأنا نائم.. وأشرب وأنا نائم.. وفى أذنى صوتان لا ثالث لهما صوت النقشبندى.. وصوت الوابور

الذى يهدر فى أذنى.. فيشيع حالة من الدفء والأمان تجعلنى أفقر فى جلستنى مثل طه حسين فى مسلسل الأيام.. فى الصباح أنسى تمامًا أننى تسحرت.. والأسرة كلها تضحك منى.. يا بنى ده أنت واكل قدامنا.. ولا تفلح حيلتى الصبيانية لكى أجد مبررا للإفطار.. أهتف فى غضبة طفولية حمقاء.. ياه لسه ح استنى لحد المغرب؟ ويبتسم أبى ويقول لى.. سلى صيامك.. لأن "الروشنة" لم تكن قد ظهر وقتها بعد فلم يكن أمامى من تسلية أو ترويش.. سوى الكتاب.. وبدأت من هنا علاقتى بالقراءة..

أنت يا.. ما تقولى يا افرض مثلاً يعنى مثلاً.. ما هذا.. إنها أغنية حكيم.. ولكن كيف اخترقت الجدران والأبواب والنوافذ.. واقتحمت عليا الفلاش باك اللى أنا عامله لحياتى فى رمضان.. الأغنية لحكيم ولكنه ليس حكيمًا.. فهو من الحكمة بألا يفعلها.. وأطل من البلكونة لاكتشف أنهم أقاموا خيمة تحت البيت، خيمة رمضانية.. وراء البيت.. خيمة برضه لا.. دى مش عيشه.. أنزل.. الخيام فى كل مكان.. والأسماء مستمدة من الفولكلور.. الباشا.. العمدة.. فنطزيه عنطزه.. يا سيدى أنا.. فوانيس.. الصحبجية.. والأسعار داخل هذه الخيام عبط رسمى.. يكفى أن تعلم يا عزيزى أن البيضة فى الخيمة تعمل لها بتاع سته جنيه، تستطيع بهذا المبلغ أن تشترى أمها "الفرخة يعنى" بشرط أن تكون خارج الخيمة.

أما إذا كنت تفكر فى فرخة داخل الخيمة.. فأنت يجب أن تأخذ قرضًا من البنك.. الجو داخل الخيمة.. جو غريب، بعض الجرسونات يؤدون أدوارًا.. يمسك أحدهم بمبخرة ويمثل دور المجذوب.. ويقترب منك ويصرخ.. حى.. حى.. ويضحك البنات الحلوين.. وأصدقاؤهم.. أحلاهن وجهًا وأعلاهن ضحكًا.. تجرى لتأخذ معه صورة.. وهى تشرب الشيشة.. يطلع المطرب المعروف.. ولكنه لا يغنى إلاَّ من رمضان لرمضان.. نستطيع أن نسميه مطرب خيامى.. يغنى للاجئين.. بعد المقدمة الطويلة التى صارت من أهم مزايا المطرب.. تلك المقدمة التى يعطينا فيها نبذة عن حياته.. ويشكرنا على استقباله قبل أن نستقبله.. هه معايا.. يالا السقفه وإن كان على الخاطر وإن كان على النيه.. عينى.. عينى نفسى ومنى عينى.. وتطلع البنت التى شربت لها فى العقدة تلات شيش وعملت دماغ.. على الترابيزة.. وتديها.. الرقص بلا هواده.. بلا رحمة.. واسمحولى.. وأنا جاهل تمامًا فى فن الرقص الشرقى.. وجهة نظرى فى طريقة رقص هذا الجيل أن هذا ليس رقصًا.. أنه نوع من أنواع العرض لتفاصيل لجسم.. فى هذه الحركة هى تقولك.. هذا ذراعى وفى تلك تقول.. هل ترى صغرحجم الوسط وعلاقته ببقية الجسم.. ثم وما رأيك فى هذه.. وتلك..

وبعد مشاهدتى لهذه النوعية من الرقص.. اسمحولى أن أضعها

تحت بند "التوك شو" ثانية واحدة.. خليكوا معايا.. شاب مكتمل الرجولة.. طالع يرقص معاها.. بدون سابق معرفة.. أصدقاؤه يهللون له.. ميجو.. ميجو.. مجدى.. يطلع ميجو على الترابيزة هو الآخر.. ويخلع الجاكت ويتحزم به.. ويديها.. يا نهار أسود منيل.. هذا هو بحق الرقص الشرقى.. مستوى مجدى فى الرقص لا يختلف كثيرًا عن مستوى تحية كاريوكا زمان.. وإن كان يبدو عليه أنه أميل إلى مدرسة سامية جمال.. صديقات البنت يغرن من مجدى واكتساحه لصاحبتهن على حلبة الرقص.. يشجعنها.. صافى.. صافى وصارت صافى أمام الأمر الواقع.. يجب أن تكسب هذه الجولة.. السحور أمامها والفجر وراءها.. وتحاول صافى مجاراة مجدى فى الهز.. فى الرعشة.. فى أى شىء.. ولكنها تفشل.. لأنها أساسًا ليست راقصة.. إنها مجرد عارضة أشياء.. لا يهم انزلى يا صافى خدى نفسك وابقى اطلعى تانى.. وتنزل صافى من على الترابيزة لتأخذ أنفاسها.. (من الشيشه طبعًا) ولكن صاحبتها لا تطيق.. تخلع الجاكت فى حركة استعراضية لها مدلولات كثيرة.. وبمنتهى الثقة.. والحزم.. تتحفنا بنظرة كلها تهديد ووعيد.. ح أوريكم.. وتشير للفرقة باحتراف.. وتبدأ فى تعليم مجدى درسًا لا ينساه فى فنون الرقص.. ومجدى إن راح والا جه ليست عنده أدوات ولا أشياء تصنع منه راقصة.. إن الرجل يجتهد.. يحاول.. أسأل الجالس بجوارى.. صاحب العزومة.. اللى هوه شايل الليلة.. الخيمة من دول.. تعمل كام فى الشهر الكريم؟ يجيب بخبرة..

فهو صايع خيام.. مش كله.. فيه اللى تعمل لها.. ميت ألف.. وفيه ميتين وفيه مليون.. حسب المنطقة.. وحسب الزبون.. فيه خيام بتعمل ٥٠ ألف جنيه.. فى الشهر.. شيشه بس.. أخرج من الخيمة.. لأجد طفلا متشردًا يمسح لى السيارة.. منظره أمام الخيمة يذكرنى بأطفال الحجارة وأنا قد تركت الخيمة ولم تكن القضية. قضية ميجو وصافى.. قد حلت بعد.. مليون جنيه فى الشهر إيراد خيمة؟! جاتنى ستين خيمة.

حطى كالونيا!!

إذا بصيت لك بصة على جدران المقابر الفرعونية، وبالذات فى الدولة الحديثة، ستجد المرأة المصرية القديمة جالسة فى أناقة فى أبهى ثيابها وحليها، وفوق رأسها ستجد حاجة كده مكيبة.. ليس هذا ورما والعياذ بالله.. هل تعرف ما هذا الشىء المكبب القابب فوق رؤوس النساء الفرعونيات.. إنه العطر الفرعونى.. ولكن فى صورة جيلاتينية.. إنه مثل ربع كيلو سمنة بلدى وضعتها فوق رأسها تسيح تدريجيا على شعر ووجه المرأة، وبفعل حرارة الجو تنشر شذاها وأريجها الجميل فى المكان.. وهكذا كان للمرأة المصرية فضل السبق فى تدويخ الرجالة.. والرجل مننا يفرفر إذا شم رائحة من يحب، ولأن المرأة تعرف ذلك جيدًا فهى تتفنن فى وضع برفانات قاتلة ليس لها حل.. وطلعت لنا برفانات بأسماء غريبة Poison يعنى سم.. و Opium يعنى أفيون، وكلها تعكس رغبة المرأة فى القضاء على أى نوع من أنواع المقاومة للرجل.. والتفكير فى البارفان الذى تستخدمه المرأة يشبه إلى حد كبير التفكير فى المبيدات الحشرية، وغدا تستخدم المرأة عطرًا اسمه ديكسان أو سوكس، وستضع فى جيب جونلتها القصيرة أقراص

له: يا راجل أنا ح أصدق كلام فارغ زى ده.. قال لى: على كيفك.. وتأهب للانصراف، عند الباب قلت له: بقولك إيه أنا كنت قاصدك فى ثلاث أربع نقط كده أروش بيهم نفسى وشوف يقطعوا كام.. فابتسم فى خبث.. قائلا: عاوز تجربه يعنى.. ماشى.. ووضع لى نقطتين فقط خلف الأذن.. وقال لى تعالى.. وأخدنى للمحل عنده.. وعينك ماتشوف إلاَّ النور.. دخلت امرأة تشترى زجاجة عطر من عنده.. وفجأة التفتت نحوى.. وعيناها كلها إعجاب.. وقالت لى: أنا معجبة بيك جدًا.. لم أصدق نفسى ودخلت امرأة ثانية.. ووضعت ذراعها فى ذراعى.. ودخلت امرأة ثالثة كادت يغمى عليها فور أن نظرت إليها.. وناديت على صديقى وأنا فى غاية السعادة.. قلت له: بقولك إيه.. أوعى تفرط فى القزازة.. أنا اشتريت والألفين جنيه أهم.. وخرج صديقى منفجرًا فى الضحك.. وقال لى: مش قلت لك.. ووجدت صديقاتى المعجبات بى ينفجرن فى الضحك هنَّ أيضًا، يسلمن على صديقى الذى كان متفقا معهن على ذلك.. وكان مقلبًا لم أشرب مثله فى حياتى.. وقال لى صديقى بغلاسة: بس حلوة إيه رأيك إنت مش بتعمل الحركات دى فى البرنامج بتاعك.. تتعمل فيك مرة بقه، ومن يومها قررت ألا أصدق أى امرأة تعجب بى بعد ذلك.. حتى لو كانت صادقة فى إعجابها.. محدش يضمن حد فى الأيام دى..

إنهم لا يبدعون ولا يتحاورون.. فقط يتحرشون

فى أمريكا رجل غلبان لا ينام الليل، اسمه كلينتون اضطرته الظروف ولقمة العيش أن يعمل رئيسا للولايات المتحدة، فور ما استلم عاديك على اللى حصل له، بدأت حكاية البحث فى دفاتره القديمة، والنبر وراه اشتغل بقى، واحدة اسمها باولا، رجعت بالذاكرة شوية وافتكرت حادثة حصلت لها معاه، أيوه، بالضبط كأنها بتحصل النهارده، كانت ماشية فى ولاية أركانسو، ولابسه جيبه مينى حمرا على بلوزة بيضا بصدر مفتوح، وقال إيه لقت واحد بيلعب لها حواجبه وبيغمز لها بعينه، بس مش فاكره لو كانت هى شجعته والا لأ، كل اللى فاكراه، إنه قال لها، هاى وير آر يو جوينج، يعنى على فين العزم يا عسل، بالأمريكانى طبعًا، ولا تذكر إن كان مد إيده والا ما مدهاش، ومرت خمسة عشر عامًا على هذه الحادثة، وفوجئت به ربنا فتح عليه واشتغل رئيسا للولايات المتحدة.

ولأنها كانت فاضية وسايبة الشغل راحت مع المحامى، ورفعوا قضية على الراجل واتهموه بالتحرش الجنسى، وتهمة التحرش تهمة توجه للرجال فى البلاد المتحضرة، على أساس أنها نزعة غريزية بهيمية لا تليق بالرجل الجنتلمان، أتصور لو عممت هذه التهمة فى بلادنا، لكنت أكتب لك الآن مقالى هذا من سجن أبو زعبل أو من ليمان طره، ولحلت تمامًا مشكلة الزحام والمواصلات، حيث سنرى بلادنا خالية تماما وهادئة تمامًا، من الرجال طبعًا.

وتهمة التحرش الجنسى فى الواقع تهمة مطاطة.. وفى شعرنا العربى القديم قصائد تاخد حكم مؤبد، ولكن من الهبلة التى ترفع قضية تحرش على أحد الشعراء؟! إيش ياخد الريح من البلاط؟! وإذا كنا نحن معشر الرجال توجه إلينا تهمة التحرش، فلماذا لا توجه للمرأة تهمة التحريض على التحرش؟ وهنا نذكر البيت القديم للشاعر الصعيدى متقال قناوى، البت بيضا بيضا بيضا وأنا أعمل إيه، وفى تحليل البيت نوع من الشكوى من قلة الحيلة أمام أنوثة المرأة وبياضها. وبتاعة الودع الشهيرة حينما تقول، ارمى بياضك يا شابه، تعنى ارمى بلاكى ع الرايح والجاى.

ولا تزيد باولا صاحبة قضية التحرش الشهيرة فى أمريكا على تلك التى أعلنت ثورتها على حمدى باتشان صارخة، إيه يا إخواتى الراجل

ده اللى ماشى يعاكس ده، إيه الدم السم ده اللى يثير أعصابى ده، لو حمدى باتشان كان فى أمريكا لشاف أيام سوده، وعبد الفتاح القصرى الذى لم يترك امرأة فى ملاءة لف إلا وهتف بها صائحًا يا صفايح الزبدة السايحة، ده متحرش أصيل ويجب فتح ملفاته من جديد.

وتاريخ التحرش فى بلادنا يعود إلى إنشاء هيئة النقل العام، وكتب الراحل العظيم محمد عفيفى قصة قصيرة سأحكيها لكم، "يحكى أن آنسة ركبت الأتوبيس فلم تنزل منه كذلك" ولذا أنا من أشد المعجبين بمترو الأنفاق، فالعلاقات بين الناس وبعضها فى المترو لاشك أنها أقل حميمية والتصاقًا من الأتوبيس، ولكن هناك بلاشك تحرشًا شرعيًا مستحبًا.. ازاى.. أقولك.. فى فترة الخطوبة وكتب الكتاب، يظل الخطيب يتحرش بخطيبته فى كل خلوة، وهذا مقبول حتى يشجعها على تقبل فكرة الزواج منه، والغريب أنه بعد الزواج ينقلب الحال، هى تتحرش وهو يعمل أطرش، وحينما قامت الدنيا ولم تقعد على كلينتون بعد أن اتهمته باولا بالتحرش، كان رده غريبًا مائعًا، قال إنه لا يذكر إن كان تحرش بها أم لا، واعتبر ذلك قرينة ضده باعتباره متحرشًا متمرسًا اعتاد التحرش بالجنس اللطيف، لدرجة أنه نسى من تحرش بهن.

والشىء الذى يضايقنى فى الحقيقة فى هؤلاء الأمريكان أنهم

يتركون باولا ترفع القضية على الرجل، وفى الوقت نفسه يتركون واحدًا مثل نتنياهو نازل تحرش فى خلق الله، ولا أحد يضربه على إيده ويقول له كخ عيب، لا يجب أن يترك أمثال هذا المتحرش يعيثون فسادًا فى الأتوبيس العربى، يجب أن يصرخ أحدنا للسائق على إيدك يا أسطى وفى أقرب قسم يأخذوه ويرنوه علقة محترمة، ولأنها لعبتهم وحافظينها كويس، عملوها على سفير مصر فى إسرائيل برضه، طلعوله راقصة واتهموه بالتحرش بها، والتحرش هنا أكثر منه تحرش جنسى، وهل الراقصة الإسرائيلية المحترمة التى تشكو من تحرش السفير بها، محتاجة تحرش، معلوماتى أنها فاتحة دارًا كاملة للتحرش، والإقبال عليها كبير جدًا، مش ملاحقه يعنى، مسألة عجيبة حقًا فى بلاد الجنس والكفر والفوضى والدعارة، أنهم يشغلون أنفسهم بقضايا غريبة، يأتون على الهايفة ويتصدرون، تقف المرأة أمامك ملط، وتصدر لك الرئتين ولا تخفى عنك شيئًا إلا ما ندر، فلو أنت بصيت لها بصة عفوية تلقائية بدافع من النوع الذى تمثله فى الدنيا، ألا وهو رجولتك، بس.. بقت قضية وشوف مين بقى اللى ح يطلعك، ولذا إذا حدث وذهبت إلى أمريكا، يجب أن أدرب نفسى سأفعل مثل أرثر ميلر، رأى مارلين مونرو عارية تمامًا أمامه ولم يهتز، لم يتحرك، كان ينظر لها كأنه يشترى علبة سجاير من البقال، وهم وصلوا إلى هذه المقدرة الفذة على التماسك أمام أنوثة المرأة بعد سنوات من التدريب، فنوادى العراة هناك، محلات صغيرة يجلس فيها الناس كما ولدتهم أمهاتهم، يلتقون

ويتحاورون، ولا يتحرشون.. آه والله زى ما بقولك كده كنت أحكى لهريدى بلدياتنا من الأقصر، عن نوادى العراة هذه فكاد يتحرش بى أنا.

وإذا فتحنا المجال لقضايا التحرش فى مصر، لانتهت تمامًا تلك الظاهرة المصرية الحديثة، وهى متابعة السيارات الشبابية للفتيات الماشيات فى براءة فى الشارع المصرى، سألتنى إحدى السائحات ذات يوم: لماذا نرى خلف كل فتاة جميلة سيارة تلاحقها، قلت هذا عيب فى السيارة نفسها أصلها بتتقفل هنا، بعد القبض على المتحرشين سيحق لكل بنت أن تمشى فى الشارع كما يحلو لها، فمن سيجرؤ على الاقتراب أو إبداء وجهة نظر فى مفاتنها، وعليه سنجد فتيات يسرن فى الشارع بالمايوه، وأخرى تتحزم وترقص، وعادى، ونحن معشر الرجال ولا هنا، وستكون المعاكسات على جانب كبير من السرية، بالهمس بالشفرة يهمس الواد الصايع لزميله الواقف على الناصية، ١٦ سين تربيع خمسة أوس أربعة فيرد عليه زميله مبهورًا. يا ابن الإيه وأخذت بالك من كل الحاجات دى؟! وستذهب إحداهن إلى المحكمة لترفع قضية على واحد ليس بتهمة التحرش فقط ولكن بتهمة جديدة.. تهمة مصرية، وهى أنه (المتهم يعنى) حاطط نقره من نقرها وهنا ستحول القضية إلى الطبيب الشرعى للكشف على نقره ونقرها ووضع التقرير المطلوب.

وفى حياتنا الفنية تحرش فنى أيضًا، وهو يناقض المثل الذى يقول إن البقرة حينما تسقط تكثر ساككينها، فى الفن بقى تنهال السكاكين على البقرة التى تدر لبنًا، لماذا؟! لأننا لا نحب أنفسنا، صدقونى، هناك حالة من التحفز وعد الغلطات، والتحرش بالنجاح، فإذا نجحت يتهمك بالفشل، وإذا حققت إيرادات يتهمك بتزوير الإيرادات، وإذا رأى إقبالاً جماهيريًا، يتهمك بإفساد الذوق العام، وإذا اندلعت ضحكات الناس فى المسرح، يكتئب، وإذا بكى الناس مع مشهد ميلودرامى حزين، يسخر من المشهد ويضحك عليك، ماذا حدث يا إخواننا، تاريخ بلادنا الطويل يقول إننا الذين اخترعنا الحب، وصدرناه إلى الدنيا كلها، فمن الذى استورد لنا أشولة الكراهية هذه؟ إنهم لا يبدعون ولا يلتقون ولا يتحاورون إنهم - مع الأسف الشديد - يتحرشون.

خد الفياجرا.. والبس فى شجرة

الرجال يتابعون الموقف بانفعال شديد.. فى المقاهى.. فى المكاتب.. فى حوارات التليفونات.. المشاعر تتأرجح بين التصديق والتمسك بحبال الأمل.. أو عدم التصديق والإحباط الأزلى.. السيدات يتابعن الموقف بصمت مريب.. وفى عيونهن بعيد عن السامعين ناويين على نية سودة.. كان معكم من موقع الأحداث.. يوسف معاطى القاهرة..

قال أحدهم فى استنكار.. فياجرا إيه يا عم.. صلى على النبى.. والله لما يحطولى عليها مليون جنيه مادام الواحد ميه ميه خلاص.. أنا راجل مكفى بيتى.. وعندى الكفاءة أضرب إيدى فى الحيط أقسمه نصين.. وخبط على صدره فى قوة.. ثم همس لى وهو يتفادى أن يسمعه الآخرون.. إنما ينزلوا الحباية بأربعين جنيه.. ده كفر وافترا..

وتساءل أحدهم فى شك.. مش حكاية أربعين جنيه يا جماعة.. المهم شغالة واللا مش شغالة؟ وأكد الجميع على تساؤله الفخم فى صوت واحد كأنهم كورس فى الروايات الإغريقية.. أيوه شغالة واللا

مش شغالة؟! وطلع واحد من الشله ليفسد الأمل الذى يتعلق به الجميع.. بصوا بقى.. مفيش أحسن من الحاجة الطبيعية.. صدقونى.. ويتراجع الجميع فى أسى كتراجع الموج من على شاطىء البحر.. ويومئون برؤوسهم.. طبعًا.. الطبيعى مفيش زيه.. وتمر لحظة صمت.. بس هو فين الطبيعى؟! ويقول أحد الجالسين.. إذا سلمنا جدلاً أن الحباية لها أثر جامد.. وبتعمل عمايل كما يقولون لاشك أن المرأة سترجع تفوقك هذا إلى الحباية.. وليس إمكانياتك الطبيعية.. نبقى معملناش حاجة.. فصعب جدًا على الرجل أن يسمع المرأة تغنى له بعد لقاء عاطفى مثير.. وتقول حبايتك بالصيف.. حبايتك بالشتا.. حبايتك بأربعين جنيه.. ثم إن طقوس العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة صار من مظاهرها التقليدية أن تأخذ المرأة الحباية قبل اللقاء (حباية منع الحمل) ويسألها الرجل فى ود.. أخذتى الحباية يا تفيدة.. لاشك بعد الفياجرا ستنقلب الآية.. فالمرأة هى التى ستسأل الرجل.. أخذت الحباية يا عوف.

قلت لهم يا جماعة أنتم تنسون بعدًا خطيرًا فى الموضوع.. البعد الاقتصادى.. فالفياجرا التى هى من المفترض جاءت لتعمر البيوت.. وتصحح العلاقات العاطفية.. ستخرب البيوت رسمى.. قالوا إزاى.. قلت لهم واحد موظف غلبان راتبه على قده يضعه أمامه كل أول شهر وهو يضرب أخماسًا فى أسداس، كيف سيستوعب راتبه كل

البنود والأعباء التى تثقل كاهله؟ الأكل والشرب والدروس الخصوصية.. فإذا ببند جديد يطلع له.. الفياجرا.. ستبتلع راتبه بالحوافز.. ولا عيال كلت ولا شربت ولا فلحت فى المدارس بل بالعكس العيال زادت.. وأتصور أن الزوجة سيكون لها أثر كبير فى قرار الزوج فى مسألة الفياجرا هذه.. أتخيل زوجًا من محدودى الدخل جالسًا مع زوجته يحسبان مصاريف الشهر يقول لها فى حيرة.. مش عارف أعمل إيه.. نغير الانتريه اللى بره واللا نجيب الفياجرا.. ترد الزوجة فى مشاركة منها لهموم زوجها قائلة.. ماله الانتريه ما هو لسه جديد مش مهم نغيره.

هنا انتفض أحدنا فجأة.. وهو معتاد على ذلك وصرخ قائلاً.. يا إخواننا.. إفهموا الحكاية بقى.. العملية باينة زى الشمس.. الفياجرا منين؟ من أمريكا.. وهى يعنى أمريكا من إمتى بتجيب حاجه عدلة.. كل ما فى الموضوع إنهم عاوزين يعودوا الشعب ع الفياجرا دى.. أنت واخد بالك وشعبنا انتوا كلكوا عارفينه لما يشبط فى حاجة ولا العيال الصغيرين.. وعليه.. إحنا لازم ناخد موقف جماعى من الفياجرا ونقاطعها.. ما طول عمرنا نعمل طبق الفول المحبش بالزيت الحار وجنبه فحل بصل معتبر.. وشوية ملاغية ولطافة.. وإنسانى وبعدين يا إخواننا.. دى بعيد عن السامعين بتعمى النظر.. حتنفعنى بايه الفياجرا وأنا عاجز لما ألبس فى شجرة؟! كان يتكلم بحماسة ويوجه لى

الكلام، وحينما قمت من على الكرسى وذهبت إلى جرسون القهوة.. استمر يوجه لى الكلام كأننى لازلت جالسًا على الكرسى.

الفياجرا فى رأيى.. هى حلم كاذب.. يحاول أن يعطى لرجل كهل أملاً جديدًا فى أن يعيد أيام الشقاوة والعفرتة.. وهذا ضد الطبيعة.. فأنا مثلاً أحلم لو فيه عمر وعشت حتى بلغت من العمر أرذله أن أتمتع بكهولتى.. إنها متعة.. أقعد فى البلكونه فى الشمس بالجلباب والمانتوفلى، أتصفح الجرائد وأشرب شاى بحليب وأفت فيه بقصمات.. وأعمل عقلى بعقل أحفادى.. وأفقد نصف ذاكرتى.. يا لها من متعة تلك الغيبوبة الشيخوخية البريئة.. وأنام على نفسى فى جلستى الوثيرة، لأفيق فجأة مفزوعًا على كرة لبست فى وجهى ألقى بها أحد أحفادى.. أشتمه وأقول له.. كفاية عفرتة يا ابن الكلب.. ثم يرتمى فى حضنى فأربت على كتفه بحنان.. تلك هى الصورة النموذجية التى أحب أن أرى عليها كهولتى.. ولا أتصور إطلاقا.. أن أكون كهلاً بصباصًا علبة الفياجرا فى جيبى.. وبالاغى بنت الجيران..

هنا انفعل عم عيسوى ذو الثمانين ربيعًا وأرغى وأزبد.. وعمل فيا ما كنت أحلم أن أعمله فى أحفادى وقال.. خلاص.. موَّتِّنى بالحيا..؟! عاوزى أقرأ جرايد وألعب مع العيال؟! وشاى بلبن؟! إنت فاكر نفسك شاب قوى.. أنا صحتى قد عشرة زيك.. ولعلمك بقى..

وبالعند فيك ح آخد الفياجرا..

كان يقول ذلك فى عصبية وهو يلهث.. وصدره يعلو ويهبط.. قلت له خلاص يا عم عيسوى خد الفياجرا.. أنا غلطان.. هنا قال عم عيسوى وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة مش قادر أروح الأجزخانه حد ياخد بإيدى يا ولاد الهرمة.

fofoyo

الجنس اللطيف والوضع المخيف

رجل فى الستين وامرأة فى الستين.. الرجل عازب.. والمرأة عانس، من منهما أكثر كآبة وشقاء من الآخر..؟ كلاهما بائس.. ولكن من أكثر بؤسًا؟! فى تقديرى الشخصى إنها المرأة.. ربما لأن النساء أميل إلى الأسى والشكوى والسهوم، ثم إن المرأة عندها مرحلة من عمرها.. اسمها سن اليأس، وهى مرحلة تنظر فيها المرأة إلى الوراء فى ندم.. تتذكر بداياتها الأنثوية.. حينما كانت أشبه بمسرحية آرش كومبليت.. تتذكر طوابير العرسان وكأنها الفرخة الوحيدة فى الجمعية..

تتذكر اعتراضاتها الهايفة على كل راجل كان يتقدم لها.. مش أمور.. بلدى قوى.. ما بيعرفش يعوم ولا يرقص.. ده قافل الزرار اللى فوق.. مش تيبى يا جماعة.. مش ده خالص.. اللى فى خيالى حاجة تانية.. وها هى تجلس الآن كمسرح أطفئت أنواره ولا متفرج واحد يريد أن يقطع تذكرة.. أو حتى يدخل بدعوة مجانية.. الحياة بالنسبة لها أصبحت صحراء جرداء عمرها ٧ آلاف سنة.. النهارده لم تصبح

جنة.. وإنما صارت جحيمًا.. تحاول أن تنفض عنها كآبة النكد.. لتذهب إلى الكوافير.. إبراهيم الكوافير.. يعمل لها شعرها منذ كان صبيًا فى الخامسة عشرة.. صار الآن زوجًا وأبًا لأسرة كبيرة.. كانت تعرفه منذ كان عيل.. إلى أن أصبح صاحب عيال.. الخبيث يشعرها دائمًا أنها مازالت فى أوج فتنتها.. المحل ملىء بالبنات.. صواريخ الجمال.. السجائر والنسكافيه والموبايل وعايشين يتدللن على إبراهيم فى خلاعة.. خلصنى يا إبراهيم.. عندى ميعاد.. وصاحبتنا مفروسة منهن جميعًا.. فهى لا تريد أن يخلصها إبراهيم.. لأنها ما وراهاش حاجة لا ميعاد ولا غيره.. ولكنها تكذب.. تتظاهر بالاستعجال.. ياللا يا إبراهيم.. ترد عليها إحداهن فى أدب مصطنع ممكن أعمل شعرى قبل حضرتك.. تستفزها "حضرتك" تضايقها.. تشعر أنها الست الناظرة أو شىء من هذا القبيل.. ترفض أن تتنازل عن دورها فى جفاء.. تمسك إحداهن بإحدى المجلات يا خرابى على راغب.. يجنن ابن الإيه.. تقول الثانية.. أنا بحب وائل كافورى أكثر.. تعود صاحبتنا بالذاكرة إلى معشوقها الأول عبد المطلب.. الناس المغرمين.. ما يعملوش كده.. وتخرج من الكوافير على سنجة عشرة.. أو لنكن واقعين على سنجة خمسة معقول قوى.. لا أحب المبالغة فى هذه الأمور.. إلى أين تذهب؟ صديقاتها كلهن مشغولات بالعيال والزوج.. والحياة.. تتمشى فى أسى.. يا للفرج.. حقًا.. هل تلاحقها هذه السيارة.. وهؤلاء الشباب.. هل يعاكسونها حقًا.. تسرع الخطو..

ولكن ليس بالقدر الذى يجعلهم يفقدون أثرها.. ولكن السيارة تقف بعيدة عنها.. ماذا حدث.. الشباب يخرجون من السيارة.. وينزلون رقص وتصفيق.. ليس لها وإنما لأن مصر غلبت زامبيا فى كأس الأمم الإفريقية.. وحدة المرأة بشعة.. ربما لأنها لم تخلق بهذا الشعور.. لم تجرب الوحدة أبدًا، وبالعكس كان آدم وحيدًا فى الجنة سعيدًا.. قرير العين.. قبل أن تخلق حواء لتؤانسه وتملأ عليه حياته.. وتسأله السؤال التاريخى.. كنت فين؟! ومالك متشيك كده.. رايح على فين؟! ويرد عليها أبونا آدم.. فى غيظ.. هوه فيه حد غيرنا!! وتسأله فى شك.. أوع الشيطان يلعب فى دماغك أنا عارفاك.. ولكن الشيطان يلعب فى دماغها هى.. ويهيىء لها أنها لكى تربط آدم بها.. لابد من العيال.. ويرسمان الخطة هى والشيطان إعارة أو عقد عمل للخروج من الجنة..

ولذا فنظرة المجتمع لرجل عازب وإن كانت مستهجنة.. إلاَّ أنها لا تؤخذ بكثير من الجد.. ربما لأن قرار الزواج.. قرار رجل.. يمكن أن يبرر عدم زواجه بمسائل خاصة وشخصية مثل.. مالقيتش الإنسانة اللى تفهمنى.. أو الشغل واخد كل وقتى.. ويظل إلى آخر عمره.. يقول.. لسه.. قريب قوى.. فيه واحدة كده قدامى.. والذى يعضد موقف الرجل العازب فى عدم زواجه أراء أصدقائه المتزوجين.. يا بختك مروق نفسك.. ويحسدونه.. آهو أنا مقدرش أسهر زيك كده.. ويرن الموبايل.. ويخفت صوت الزوج أمامه.. أيوه يا ماما.. قاعد مع

أصحابى.. تسمع صوت سرسعتها فى السماعة.. ويخفت صوته أكثر.. حاضر.. أنا جاى.. ويقوم متثاقلاً فى هم.. ويودع صديقه العازب بنظرة كلها قر وحقد على حريته.. وإذا كانت العزوبية فى فترة من حياتنا لها مشاكلها.. مثل الأكل والشرب والغسيل.. فالمجتمع الجديد المتحضر الذى نعيشه يوفر كل هذه الأشياء.. فأنت تطلب ملوخية ومحشى وصينيه بطاطس كل ده تيك أواى.. وهدومك تغسلها لك اللوندرى.. وشركات النظافة تخليلك البيت بيبرق وبالتالى.. فالزواج الذى كان يتم رغبة فى الاستقرار وأكلة حلوة.. وهدمه نضيفة.. أصبح موضه قديمة.. فما الذى يدفع رجلاً عازبًا الآن لكى يتزوج؟!

حتى ما يدور بأذهانكم يا أعزائى ليس كافيًا.. صدقونى.. الرجالة بتتصرف برضه، أما المرأة فهى فى مأزق خطير عليها أن تبدع.. أن تخترع أسبابًا جديدة لكى يتزوجها الرجل.. والخطير فى الموضوع أن المرأة بنفسها هى التى صارت تسخر من الحب والرومانسية وتتظاهر بالعملية والواقعية والروشنه، برغم أن الحب هو الأمل الوحيد الباقى لإقامة حياة حقيقية.. قالت لى إحدهن فى صياغة جميلة.. يا حبيبى الأزمة أزمة رجالة.. ولم أبتسم.. قلت لها هذا صحيح.. تعداد النساء فى العالم كله أضعاف تعداد الذكور.. فخبطت على صدرها فى رعب وقالت أنت بتتكلم جد؟ قلت لها فى ثقة.. إحصائية يا عزيزتى.. فرفعت السماعة بسرعة وكلمت خطيبها.. وقالت خليل.. أنا ناهد..

أوعى تكون زعلت منى إمبارح.. ح أشوفك إمتى يا بابى.. واحشنى.. ووضعت السماعة وغمزت بعينها وقالت عصفور فى اليد.. قلت لها.. ولو كان لسه ع الشجرة ماشى.. حد لاقى.

فى الحرب العالمية تلقى جندى أمريكى من جيش الاحتلال فى المانيا برقية من خطيبته فى أمريكا تقول فيها.. لم أطق صبرًا على رحيلك..فتزوجت أباك.. (حاجة من ريحته والسلام) لك حبى وسلامى.. أمك.. والحقيقة أن الأب كان يواسى صديقة ابنه بعد رحيله إلى الحرب.. وتزوجته هى ربما لأنها لم تكن تنظر إلى الزوج بقدر ما كانت تنظر إلى العيلة.. النسب يعنى.. سواء الواد أو أبوه.. بس ناس طيبين الحكاية فى بيتها ما خرجتش بره..

الشىء الغريب أن جملاً نسائية تنتشر هنا وهناك.. على لسان فتاة الجيل الجديد.. الجواز مشروع فاشل.. نظام اجتماعى فاشل.. كبر دماغك.. وهى دعوة مستترة للانحلال.. ولنظام الورقة العرفى والشهود واختراعات الزواج الجديدة.. مثل زواج المسيار أو زواج المسافر.. الذى يحول المرأة.. إلى تيك أواى.. وأنا بدافع من حبى لهذا المخلوق الرقيق المرأة.. أثق جدًا فى عقليتها ودائمًا ما أرى أن لها نظرتها الأنثوية للأمور، وهى نظرة متأنية صبور مليئة بالتفاصيل.. فهى ترى مالا يراه الرجل.. بل إن حجم أدمغة النساء إذا قيس إلى أبدانهن أكبر

قليلاً من أدمغة الرجال.. تلك هى الطبيعة الإنسانية.. حتى بدون أن تكون عاملة دماغ.. والنساء أقدر على احتمال الإجهاد من الرجال، وفى وسعهن أن يعملن أعمالاً دقيقة مجهدة رتيبة، فهى تجلس لتعمل فى التريكو.. وتمقق عينها بدون أدنى إحساس بالملل أو الزهق.. وتحشى ورق العنب فى ثلاث ساعات.. ليأكله الرجل فى عشر دقائق.. كالبلاعة.. وأنت ترى فى جميع أقطار الأرض.. أن معدل الذين ينتحرون من الرجال ثلاثة أضعاف اللاتى ينتحرن من النساء، فالرجل زهوق.. وكسول.. يضايقه جدًا أن تطلب منه زوجته أن يقوم من على هذا الكرسى إلى ذاك.. لتكمل مسح الصالة، وقد وضعت المراتب فى البلكونة.. والسجاجيد على السلم.. والأكل ع النار .. والغسالة شغالة.. وهو يجلس فى خمول يقرأ جريدة الأمس التى لم يكملها بعد.. وترى أيضًا أمراضًا مثل قرحة المعدة التى ترتد إلى أصل عصبى هى فى الرجال أربعة أضعافها فى النساء.. كما أن عدد نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية من الرجال أضعاف نزلائها من النساء.. فالرجل يستسلم للجنون بسرعة أكبر بكثير من المرأة، فامرأة واحدة كفيلة بأن تجنن ألف رجل.. ولذا فأنا أعتقد أن المرأة ليست فى موقف الضعف وإنما فى موقف القوة.. إذا شغلت دماغها قليلاً.. ولم تعتمد فقط على الأشياء التى اجتذبت بها جدتى التى كانت تعيش فى عصر ما قبل التاريخ.. جدى الغوريللا الذى هام بها حبًا حينما رأى مفاتنها

المثيرة.. هذا كان من مليون سنة.. كانت الرجالة بالكوم.. والخير كتير.. النهارده المسأله عاوزه وقفه..

روج وشنبات!!

خدوا بالكوا القرن القادم هو قرن المرأة.. القرن الواحد وعشرين قرن ستحكمه المرأة، وستصبح الكلمة العليا فيه لها بلا منافس ولا منازع، وإذا كان للرجال قرنان التاسع عشر والعشرين، فالمرأة لها قرن واحد هو القرن اللى جاى.. أما أسطورة "سى السيد" المزعومة فستصبح مثل الحفريات وتماثيل الفراعنة، وسيظهر نجيب محفوظ آخر فى القرن الواحد والعشرين وسيكتب لنا "سى الست هانم" وسيظهر مصطفى محمود ثان.. يقدم فى برنامجه العلم والإيمان مخلوقًا عجيبًا كان فى القرن الماضى يشخط فى مراته الشخطة تنشف من شخطته.. شايفين معايا.. الله.. شوفوا بيشخط فيها إزاى.. ويضحك.. وغدًا لقاء آخر إن شاء الله.

وبنظرة بسيطة لحال المرأة فى منتصف القرن العشرين، سنجد أنها كانت تعيش آمنة هادئة مطمئنة، ولم يكن هناك غسالة ولا بوتاجاز ولا

أى جهاز فى البيت.. فكانت المرأة هى كل هذه الأجهزة مجتمعة.. كانت هى الغسالة وهى الثلاجة وهى الديب فريزر كمان، وكانت حركتها الدائبة بين نشر المراتب فى الشمس والغسيل والطبيخ وغسيل القلل وزن العيال وقرفهم تجعلها ملهية.. منصرفة طوال اليوم وينتهى يومها الشاق وهى مهدودة وتنعس وهى قاعدة، ليقول لها الزوج من خلف الجريدة التى فى يده وقدماه فى الماء والملح.. قومى نامى يا أم أحمد.. وكان هذا الزوج الطاغية هو الآمر الناهى ولا مانع أن يدلع نفسه كل ليلة خميس بزيارة إلى الكيت كات أو عماد الدين.

ولم يكن مسموحًا للمرأة فى هذا الزمان أن تسأله حتى.. كنت فين.. فلم تكن المرأة قد اخترعت الغيرة.. وكرامتى وكبريائى والكلام الفاضى ده، وجدتى مثلاً عاشت عمرها كله لم تدخل سينما.. لم تأكل جيلاتى.. لم تمضغ لبانة وعاشت فى ظل جدى لم تدخل سوى حياته ولم تأكل سوى بقاياه.. ولم تمضغ إلا المر.. كانت تحضر الماء فى الجرادل وتطلع به لتخزنه فى السطوح.. وكانت تشعل النار فى الكانون "بالفحم" وكانت تربى الفراخ والبط، بالإضافة إلى أولادها من جدى طبعًا، وأكلت علقة سخنه يوم ضبطها جدى تسمع عبد الوهاب فى الراديو.. يغنى رأيت خياله فى المنام.. واعتبر هذا نوعًا من التهتك وأن جدتى فسدت. وفجأة..انتقض قاسم أمين.. وثار على الرجال.. ونادى بتحرر المرأة من عبودية الرجل، وأحدث قنبلة فى المجتمع

المصرى.. وراح جدى هو وأمثاله من الرجالة بالعصى والنبابيت على بيت قاسم أمين.. يتهمونه بالإباحية والانحلال.. وفى المساء.. دخل رجل فيلا قاسم أمين وأمسك به البواب رايح فين يا عم.. ويرد الرجل.. أقابل قاسم بيه.. وأطل قاسم بيه من البلكون.. وهتف بالبواب.. خليه يطلع.. ودخل الرجل بهو الفيلا وجلس فى هدوء.. سأله قاسم أمين.. عاوز إيه؟ وأجاب الرجل بنفس الهدوء.. عاوز مراتك! فقال له قاسم أمين مستنكرًا.. نعم يا خويا.. أكد الرجل على كلامه بثقة.. عاوز أقعد مع مراتك أتكلم معاها شوية.. فيها إيه.. وفهم قاسم أمين المغزى من السؤال.. وأدرك أنه فى مأزق هو الذى وضع نفسه فيه..

وأدركت المرأة أن الحكاية لن تأتى هكذا.. خبط لزق.. وأنها يجب أن تخطط وبدأت الأجهزة تدخل البيوت.. الفول أوتوماتيك تغسل لك الغسيل كله فى نص ساعة، والأكل يتحط فى الميكروويف.. يستوى لوحده.. وأكل الأسبوع يتعمل ويتحط فى الثلاجة.. هكذا أنا بقيت فاضية والعيال كمان تربيهم الشغالة.. كده أنا روقت له ونظرت إلى غريمها فى الحياة.. الرجل..

وقالت له وهى تسن أسنانها.. مثل طلعت زين.. تعالى تعالى تعالى.. يا ساقينى المر تعالى.

وينتهى القرن العشرون والمرأة توقع بإمضائها وتترك بصمتها على أهم الأحداث، وبدأ العالم يتعامل مع نجومية جديدة للمرأة.. ليست نجومية الفن أو الأدب أو السياسة.. وإنما نجومية الفضائح.. وتحتل المرأة الفضيحة أغلفة الجرائد والمجلات، ويصبح خبر مونيكا أهم من خبر مجاعة.. ويصبح التحقيق مع المسكين كلينتون هو حدث الكون كله.. والمحققون يسألونه أسئلة عجيبة.. بمنتهى الجدية.. والصرامة.. يسأل المحقق.. رئيس أكبر دولة فى العالم.. هل مونيكا من النوع اللى جسمها بيقشعر واللا لأ.. ويقاطعه محقق آخر.. ثانية واحدة يامتر لو سمحت.. إحنا بلد حر.. خلينى أسأله.. سيادة الرئيس هل الروج اللى مونيكا بتحطه بيطلع واللا بيبقع فى الهدوم.. أرجوك جاوب مستقبل أمريكا والعالم كله متوقف على إجابتك دى.. ويسأله آخر.. عندى معلومات أنك جبت لها سيجار.. مع أنك عارف إنها ما بتدخنش.. أنت مش عارف أن التدخين ضار بالصحة.. تبقى جايب لها السيجار ليه.. ويرتبك كلينتون وفيه ناس قالت إنك بعثت تجيب لها شيشة من مصر.. هل فعلا ده صحيح.. أرجوك جاوب بمنتهى الصراحة.. هكذا.. كل الدنيا سايبه اللى فى إيديها وتشاهد حكاية مونيكا.. تدخل شاشة الذهن صورتها المثيرة وتثبت بعينيها الشهوانيتين.. وفمها ذى الأسنان البيضاء اللامعة المخيفة.. وشفتيها الممتلئتين.. وجسدها المكتنز وساقيها المخروطتين.. إن نظرة واحدة لمونيكا دليل براءة دامغ لكلينتون.. قد يكون كلينتون قد تحرش بها

فعلاً.. ولكنها تحرشت بنا جميعا.. بالكرة الأرضية كلها..

والسؤال.. من وراء مونيكا؟! غير كلينتون طبعًا.. أنا لا أعنى المعنى الحرفى للسؤال من وراءها؟! من يقويها لكى تجرؤ على هذا التحدى الرهيب.. هل لكونها يهودية كما يقولون.. هل لأن المخابرات تساندها كما يدعون.. فى رأيى الأهم من كل ذلك أنها امرأة.. أن أنوثتها الفائضة هى صاروخها الموجه.. ورأسها الشيطانى هو قنبلتها اليدوية.

وبمقارنة بسيطة بينها وبين جدتى التى لم يكن عندها أجهزة، نكتشف أن مونيكا لم تقم بأى عمل منزلى فى حياتها.. فهى لا تطبخ.. لأنها تعيش على الماكدونالدز، ولا تمسح ولا تكنس.. لأن شركات النظافة هناك هى التى تعمل ذلك.. ولم تغسل طبعًا وهذا ثابت فى المحاضر والدليل الفستان ذو البقعة الذى عفن عندها فى الدولاب ولم تشطفه على إيديها حتى الآن.. ولأن مونيكا رايقه وفاضيه وماوراهاش حاجة ـ غير كلينتون طبعًا ـ استطاعت أن تهز البيت الأبيض وتقلبه على دماغ اللى فيه.

وبصمة أخرى تركتها المرأة فى نهاية القرن العشرين.. حكاية ديانا.. أميرة القلوب إياها، التى اعترفت بكل جرأة أمام الناس كلها.. أنها فى زعلة مع تشارلز من خنقتها منه ومن رخامته.. وعشان يبطل يضايقها

تانى.. أقامت علاقة مع حارسها الخاص.. وبرغم ذلك.. ما بطلش يضايقها برضه، وتحكى أنه فى إحدى مباريات البولو.. انتهرها بشدة أمام الجميع لكونها تجلس على جواده الذى يقدر بثمانين ألف دولار.. شوفوا الراجل بذمتكوا.. سايب كل ده وجاى يشخط فيها عشان قعدت على الجواد.. أمال ما عملش كده ليه لما قعدت على الحارس بتاع الجواد.. طيب لو.. كاميلا باركر هى اللى قعدت ع الجواد.. كنت ح تعمل كده برضه؟ وكاميلا كما تعرفون هى عشيقة تشارلز التى أحبها بالفعل.. وهى امرأة كئيبة أكبر منه سنًا.. وليس بها أى سمة من الجمال.. ما الذى أحبه فيها؟ لا أعرف. وعلاقته بكاميلا ليست سرًا.. الملكة عارفة والشعب عارف والدنيا كلها عارفة.. يمكن تشارلز هو اللى مش عارف.. وحينما سئلت ديانا إذا كان لكاميلا دور فى انهيار علاقتها الزوجية بتشارلز أجابت.. الحقيقة أن ثلاثتنا اشترك فى هذا الزواج.. ولذا كان مزدحمًا بعض الشىء.. وتنغمس ديانا فى علاقة حب ساخنة مع دودى.. رايحين جايين مع بعض بالمايوهات وع اليخوت وقال إيه.. بيجهزوا عشان الجواز.. وناس تقول الأميرة حامل.. وبرضه لسه بيجهزوا.. والعالم كله يرى كل هذا ويباركه.. عندنا بقى كان الملك فاروق حينما يذهب ليأخذ كاميليا.. أو سامية جمال من الاستوديو.. يقف بسيارته الملكية فى شارع ضلمه مختفيًا عن العيون.. ويرسل شخصًا يهمس فى أذن كاميليا.. أفندينا بره.. لتتسلل بهدوء من بين الناس وتدخل السيارة.. لتنطلق فى شوارع القاهرة..

بعيدًا عن العيون لماذا يفعل ذلك وهو ملك يعمل اللى عاوزه.. لاعتبارات كثيرة جدًا كان يستطيع أن يدخل المكان الذى سينقلب فور دخوله.. وينادى على كاميليا أمام الناس كلها.. كيمو ياللا يا روحى.. رايحين على قصر عابدين.. عشان عاوز أقولك كلمة فى صدرك.. لكنه لم يفعل ذلك.. وحينما طلب أن تسافر له سامية جمال إلى باريس.. رفض وزير الداخلية لأن ذلك يضر بهيبة الدولة.. أن تسافر راقصة بدعوة ملكية.. وكانت أزمة بين الملك والحكومة كان الفيصل فيها.. إذا بليتم فاستتروا..

والشىء المحير فى الموضوع أن العالم كله قام ولم يقعد لامرأتين إحداهما اتهمت رجلاً بالتحرش بها.. وأخرى اتهمت زوجًا بالرخامة عليها.. ولم يتحرك العالم ولم يشعر ولم يحس بدولة اتهمت رجلا بالتحرش بها واغتصابها كل يوم وكل دقيقة.. اعنى نتنياهو والمغتصبة فلسطين، ما هذا التناقض هل المرأة أقوى من الدولة؟!

نعم.. المرأة أقوى من الدولة.

المحتويات

كنت عدوًا للمرأة!!	٧
الست دى أمى (١)	١٢
الست دى أمى (٢)	١٦
دى نضافة زمان..	٢٠
ثم.. صرت متزوجًا.. وفاتح بيت	٢٣
مخطوفة.. مخطوفة منك	٢٥
يحلها حلال	٣٢
الجواز حيغلا	٣٦
تردد عالى	٤١
لندخل الحمام.. ونبدأ الكلام	٤٥
بوس الفازة..	٥٠
آخد شفطة.. وأكتب يافطة	٥٤
أنا عندى نغزة!! ساعة تروح وساعة تيجى!!	٥٨
الأبواب السرية	٦٤

أنا عاطل إذن أنا موجود	٦٨
شملوول فى استنبوول	٧٣
البنت دى بنتى !!	٨١
دى حكايتى مع الزمان	٨٣
يعجبنى أخدك للكتب بالحضن	٨٧
.. ودول بأه.. بنات الأيام دى..	٩٣
البلوزات طالعة.. والبنطلونات فى النازل	٩٥
.. فتش عن الرجاله	٩٨
امسك أعصابك شويه	١٠٢
ولا حياء لمن تنادى	١٠٦
البنت البريئة.. ما تقولش بيئة	١٠٩
روح.. جاتك خيمة	١١٦
حطى كالونيا!!	١٢١
إنهم لا يبدعون ولا يتحاورون.. فقط يتحرشون	١٢٥
خد الفياجرا.. والبس فى شجرة	١٣١
الجنس اللطيف والوضع المخيف	١٣٦
روج وشنبات!!	١٤٣

fofoyo

بنت الإيه

الموضوع الأثير والمحبب والشائك، فى المجتمع العربى، هو الحديث عن المرأة: الأم، الحبيبة، الزوجة، البنت. يوسف معاطى فى " بنت الإيه " يحدثنا عن كل مفردة من هذه المفردات . فالأم اكتسبت شهرة ومقامًا جديدًا مع يوسف معاطى بـ : الست دى أمى ... أما عن مشاكل الزواج وتكاليفه ، فهذا موضوع يتألق فيه المؤلف من خلال تجربته الشخصية لقضاء شهر العسل فى تركيا.

أما " بنات الأيام دى "، فليوسف معاطى معهن حكاية طويلة من أول حديثه عن الموضة والمصطلحات الجديدة التى يستخدمنها حتى البنطلونات اللى فى النازل، والبلوزات اللى فى الطالع لكن احذر أن تفعل مثله فأنت لاتملك جرأته أو سخريته.

* الأستاذ يوسف معاطى كاتب ساخر يعرفه قراء الصحف والمجلات.. ويستمتع بأعماله الكوميدية مشاهدو التليفزيون ورواد السينما والمسرح.

* وقد أصدرنا له من قبل مجموعة من كتبه فى الأدب الساخر، أشهرها: الفن وأهله.. عفاريت.. صايع بالوراثة.. وهى كتب متميزة حازت إقبالاً من القراء فى مصر والبلاد العربية.

* من أشهر مسرحياته الكوميدية: حب فى التخشيبة.. الجميلة والوحشين.. بوبى جارد .. بودى جارد .. بهلول فى استامبول .. لألا بلاش كده .. وهى مسرحيات ناجحة قام ببطولتها كبار نجوم الكوميديا.

* كما كتب العديد من قصص وسيناريوهات الأفلام السينمائية الكوميدية أشهرها: التجربة الدانمركية.. عريس من جهة أمنية.. السفارة فى العمارة.. الواد محروس بتاع الوزير.. ياتحب ياتقب.. حاتحب وتقب.

* كما ألف عددًا من المسلسلات الناجحة التى كان لها أثر كبير داخل المجتمع العربى مثل: عباس الأبيض فى اليوم الأسود.. سكة الهلالى..

الدار المصرية اللبنانية

fofoyo